في لجة المصير

أعد اليَّ هذا الايمان بمثل اعلى تجعلني متفائلاً ايها المتفائل !

☆

أُسمح لنفسي هذه المرة بسؤالي هذا : أمتشائم أم متفائل ؟ على أن قضية التشاؤم والتفاؤل ليست بقضية مستحدثة . فالناس يتشاءمون ويتفاءلون لما كان الناس. ولو صح رأي المتشائمين لكان العالم منذ قرون قفراً بلقعاً . او صح رأي المتفائلين لكان الوجود فردوساً يزحم فراديس الآخرة. ولكن — كما يبدو — لم يصح رأي هؤلاء ، كما لم يصح رأي اولئك . وانما الامر بين تشاؤم لا يسمح للعالم بان يطمئن ، وتفاؤل لا يسمح له بان يتدحرج ، ومرد هذا الأمر كله الى اطمئنان لا ينتهي ، وقلق لا نفاد له. وقد يقوى هذا التشاؤم او هذا التفاؤل عقب كل حادث جلل . والغريب في الناس ان يربطوا دائماً مصير الانسانية بهذه الاحداث من قتل وتدمير . كأنما لا يجدون حلا لمشاكلهم الا بهذه الاساليب التي ابتدعوها منذ كانوا ، وجربوها في كل مرة ، وفي كل مرة تفلس هذه الاساليب ، ويعود الانسان الى نسيانه وطغيانه .

ولعل للناس تعليلاً خاصاً حين يلقون على هذه الاحداث اعتادهم ، لانهم يعتقدون ان ما تذوقه الانسانية من ويلات وآلام يدفعها الى ان تتطهر ، وتتنقى من مطامعها وآثامها . ولكن الانسان — وقتل الانسان ! — لا يتذكر حتى ينسى ، ولا يتلاين حتى يقسو . في حالة لينه يشتد تفاؤله . وفي حالة قسوته يمتد تشاؤمه .

وانت الآن قل لي : أمتشائم انت ام متفائل ؟

لست الآن في سبيلي الى مستقبل الانسانية ، ولكن الى مستقبلنا نحن !

كأني بأصوات تنادي من حولي : ألا تزال تشك فيما وصلنا اليه كأمة فرضت على الامم استقلالها ؟

في اعتقادي أن نهضة الامة لا تقاس بهذه المقاييس العابرة التي تستقيم حيناً ، وتضطرب احياناً . ولا خير في نهضة تستمد قوتها من الخارج ! وانما تقاس بما تستمد من قوة من قلوب ابنائها . فاذا كانت هذه القلوب يغمرها الشك والقلق والحيرة فأية قوة تمدنا بها ؟

وليست بواعث هذا الشك والقلق والحيرة ببواعث غريبة تغزو هذه القلوب الفتية . لكنها بواعث تبعثها هذه الظروف وهذه الحوادث المتتابعة على مسارحنا . وكلها ، او بعض ما فيها — يسلخ عنا ايماننا وثقتنا . فالذين كنا نجدهم او نجد عندهم المثل الاعلى للاستقامة والاخلاص وصدق العمل ، اذا بهم لا يفهمون هذه الاشياء الا مراكب الى مطامعهم ، ويا ليتها المطامع السامية المجردة !

وليت شعري هل تريد أن أرثي لهذه المبادىء ، ام أرثي لهؤلاء الرجال ، ام أرثي لنا ، ام أرثي للكل جميعاً ؟

خليل هنداوي



في طبيعة المدنية الحاضرة، اكاذيب تدفع بتدبريها الى التشاؤم دفعاً خبيثاً . والتشاؤم ابداً لا يكون، الا نتيجة شعور باليأس واحساس بانقطاع الامل . ونحن – وان كنا نحسب التشاؤم آفة ونضيق بهصفة تلابس الاحياء وتقعد بعزائمهم – نتسع لحديثهفضيحة للمدنية في مواهنها ومضاعفها، فلا نتعلقها تعلقاً احمق، ولا ننكل عنها نكولاً مريضاً .

و« ماكس نورداو » لعله كان اطرف فاضحيها، واكثرهم لباقة في تصريف الحديث والاستثناء الى الكشف عن مساوئها . وفي عدد سابق من « الاديب » قلنا : ان العصر الحديث لم يعرف متشائماً حاد التشاؤم بالغ السخر مثله، بل لعل تاريخ الفكر في كل عصر لم يحفل بمثله ساخراً متهكماً، وبمثل نزعته شذوذاً عن مذهب النزعات المتطرفة منها والمقتصدة .

سخر من الانسان – او الدابة المفكرة على حد تعبيره – ومن الحياة والفكر، وتهكم بقيمها جميعاً، وانتهى الى الاستخفاف بالطبيعة البشرية، الضئيلة الملكات، البائرة الآثار . ونظرة في مثل كتبه (اكاذيب المدنية الحاضرة، الغرور، الانحطاط) تضع امامك الجوح كله، مجسداً في حروف تضطرب بالاعصار . ودرسه – وان يكن خطراً – زي ضرورته، فان من الواجب ان نتحسس بخالجة ارتياب وارتياب، حاد عميق، حيال كثرة كبيرة من زائفات الفكر، الى كثرة مثلها من زائفات القيم، فليس مثل الريب هادماً، كما ليس مثله بانياً منشئاً من جديد . . .

يمضي « ماكس نورداو » مؤكداً بان كل ما يحوط الانسان كذب ورياء، ان في الاخلاق او في اي حقل من حقول الانسان الاخرى . ثم يؤكد في وثوق دون ريب، بان العقل والضمير والحقيقة والعدل، كلها ثائرة غير منسجمة مع النظم على اختلافها ومع الاوضاع في شتى اشكالها .

لقدطال بالانسان الزمن وهو يتخبط في ظلمات الغرور الاحمق، بين انقاض المدنيات الكاذبة، وآن لنور الحقيقة ان يسطع فيهدي التائهين الى سبيل ممهودة، يطمئن فيها الحادي ويجد عند نهايتها العزاء . يدعي الهنود ان الاغتباط هو الراحة المطلقة، يريدون بذلك سكون العقل وعدم نزوعه الى اية حال من احوال الاستياء او النفور، عندما لا يجد في كل المظاهر الاجنبية عنه ما يجذبه اليه او ينفره منه . وهذا من غير تردد نوع من الهناءة لا يتفق مع حال الرجل المتمدن على ما هو عليه من اضطراب الفكر وتجدد شهوات النفس .

تلك غبطة لا يمكن نيلها الا باحد امرين : بالجهل التام حين تنقص الانسان نعمة الادراك والتمييز بين المليح الجذاب والقبيح المنفر، او بالعلم التام حين يستكمل العقل كل اسباب القوة والكمال حتى يعود ولا يرى في كل ما هو اجنبي عنه داعياً الى الاغراء . فالحالة الثانية كمال لا يبلغ اليه، فان من البداهة انه لن يصل ابداً الى استجلاء كل الحقائق وادراك كل الاسرار ثم ردها الى قوانين اساسية بسيطة . . . والحالة الاولى مستحيلة لاستحالة الجهل المطلق . ولكن استحالة الوصول الى الكمال المطلق والغبطة التامة، لا يصح ان تمنع الانسان من التمشي مع سنن النشوء . ومن القصد الى اقصى ما يستطاع بلوغه من الكمال . . . وان شعور النفس بدنوها من هذه الغاية إثر كل مجهود ذاتي، يؤثر فيها اثراً لطيفاً، ويعوضها من السعادة المطلقة الوهمية نوعاً من الهناء، والغبطة يرضيها ويجدد فيها الرغبة الناشدة العاملة . فمن الحكمة ان لا تترك العراقيل المختلفة في طريق الانسانية الساعية الناهضة، واعاقة حركة النشوء بالابقاء على النظم والتعاليم القديمة . على ان القوى مهما تكاثفت وعظمت لا تمنع الحال من التبدل الا فترة من الزمن، ثم تنقلب القوة المدحورة الى قوة داحرة لا يثبت لها شيء حتى تنتج نتيجتها اللازمة .

وما دام الفناء نتيجة لا بد منها، جرياً مع نظام الوجود وسنن البقاء والعدم، فان من الصالح العام والحكمة الخيرة، الاسراع بازالة ما لا بد من زواله والاقتصاد في القوى التي تنفق عبثاً بالمقاومة للانتفاع بها في تحسين الحال الجديدة .

العالم الآن في فترة الهدم والازالة، فهو لذلك يكدح ويشعر بالمنغصات التي يحس مثلها كل من يعمل بحوله بين الانقاض والغبار الثائر . ان اسوأ ما ينصرف اليه العقل القاصر، هو حبس الرغبة عن قصدها في الانطلاق واستعمال القوة في مقاومتها، هذه المقاومة التي هي تعب دائم وألم مستمر، ثم تكون الغلبة للحال الطبيعية فتتحرر الرغبة من قيودها وتندفع نحو غاياتها .

من الاسباب في وجود الاباطيل وما يحدث بسببها من الغرور وجود الجبن الطبيعي في الانسان. فانه يقعده عن اعلان الاستقلال بالرأي ويحدو به الى تهيب الاقدام والى الاعتماد ابداً على الغير. فيكون من النادر ظهور فرد يمتاز بالجرأة ومضاء العزم وقوة الارادة، يرى الحياة مثل معترك فائر لا يمنع الخوف فيه الخطر ولا يدفع الضرر، بل تكون السلامة فيه ادنى الى الانسان بالاقدام.

من مقررات العلم ان الانسان ككل الكائنات الحية خاضع للقوانين الطبيعية العامة، ليس له من الخصائص ما يميزه عن سواه في عالمي الحيوان والنبات، فقد وجد مثلهما بالتناسل وهو ينهج نهجها على سنن تنازع البقاء. وتاريخ الانسانية بما اشتمل عليه من الحروب والثورات والمدنية او الهمجية، وكل ما تسنه الهيئة الاجتماعية من النظم او تتبعه من العادات، هو من اعراض ذلك التنازع العام.

وصورة الحياة التي يتمثلها الادراك هي التي ينشئها الانسان على ما يراه مناسباً لها، من طرق العيش وتصريف الحقوق والواجبات ومعاني الفضيلة والمبادىء الاخلاقية. وكل من كتب عن الحياة او دل عليها كان تحت تأثير فهمه اياها على الصورة التي وصل اليها ادراكه، فهو ينقل عن تلك الصورة ما يظنه الحقائق الصادقة.

فالكاتب الديني الذي صور الحياة في كتابه مثل المؤمن الذي يأخذها على صورة لا تتفق مع ما في ذلك الكتاب. ورجل الدين الذي يعيش في عصرنا هذا، ويرى دلائل الحياة الواضحة امامه وصورها المتنوعة يدركها على صورة لا تتناسب مع ما عرفها به من سبقه من رجال الدين ولا مع ما في كتب الدين الموضوعة. وليس هذا لانعتاق الرجل من قيوده ولا لخروجه على الدين، وانما لانطباع صور الحياة في ذهنه بصورة جديدة، تحدوه الى قبولها وفهمها على شكل جديد...

اساس الحقوق والواجبات ونظم الاجتماع والاخلاق كلها قائمة على مبدأ تنازع البقاء، تلك الحال الطبيعية اللازمة، ومع هذا يلحظ ان ما يسن من حين لآخر من النظم والقوانين الاجتماعية يعارض تلك الحال الطبيعية، فيمنع المرء من الانتفاع بقوته الذاتية وبما يمكن ان تنيله من الثمرات.

فالحياة في هذا العصر مرتكزة على فروض مستعارة من ازمنة اخرى، لا تتلاءم ابداً مع الروح الحديثة وافكارها. لقد بات كل شيء من اشياء المدنية، مغايراً لما يشعر به انسان هذا العصر ومناقضاً لادراكه الحقيقي الذي يعرب عنه في جد.

فالانسان الآن يخدع غيره وهذا يقابله بالمثل، ولذا نرى كل الخلق يمثلون على مسرح الحياة ادواراً هزلية وسلسلة من الاكاذيب لا تنتهي. ولو تنزل المرء الى ضميره ونفسه وقارن بين ما يقول ويبدي، وبين رأيه الخاص وما يخفي، لعرف حقيقة مركزه المنخفض ومركز العالم في دركه الاسفل، ولقدر بدون تردد نصيب الجميع من الحقارة...

والتباين الدائم بين ما تقضي به الاصطلاحات والعادات في الهيأة الاجتماعية وبين عقيدة الانسان وما يجب ان تكون عليه الحال، سيحدث حتماً في وقت ما حادثاً مزعجاً يؤثر في الاجتماع عامة، فيقلب ما فيه من الاباطيل والنظم رأساً على عقب.

يكون الجهل مصحوباً عادة بنوع من السرور الحيواني، فيلوح الجاهل راضياً عن الاحوال الحاضرة لتوهمه استقامتها ودنوها من الكمال. كذلك كان حال الناس في الازمان الوسطى، حين كانوا يعاقبون بالاحراق والقتل والذبح على الشك، كانوا يرتكبون الفظائع والسرور الاحمق ينعش نفوسهم ويملؤها ارتياحاً وتحمساً، لتوهمهم افادة المجتمع الانساني بذلك العمل الوحشي.

اما المكتمل بالعقل الناضج والخلق الفاضل، فيرى وجوده في الهيأة الاجتماعية مع ما فيها من هذه الاحوال السيئة والاباطيل المخزية، كوجوده في قبر يحوي رمماً منتنة يتألم بينها الانسان الحي، او كوجوده بين جماعة من المجانين لا يسلم من اذاهم الا بالجنون وفقدان الشعور بالاذى.

هذه المغايرة الدائمة بين فكر الانسان وكل مظاهر المدنية، والضرورة التي تكرهه على العيش بين ما يراه من الاباطيل وانواع الغش والتغرير، والتألم من دوام هذه الحال وعدم امكانه الانعتاق منها او ابدال غيرها بها، هذه الاحوال هي التي تغري الناس بالاستياء من الحياة والسخط عليها، وهذا اعضل انواع الداء الذي تمكن من جسم الاجتماع البشري اليوم...

ان المدنية الحاضرة ومن مميزاتها اللاصقة بها، الاستياء الدائم والكذب والغرور وحب الذات، لا بد من ان يعوض الانسان بها، مدنية حديثة ترتكز على الحقيقة وتبادل المحبة، فلا تعود الانسانية رمزاً لحقيقة وهمية معدومة، بل تصبح موجوداً ملء الواقع وملء الحياة.

هذا قطاف من تعمياته، الفنا بين نثارها لتكون مقدمة الى عرض آرائه في موضوعاتها.

« ابو عباده »

الحـــركـــة النفسيـــة

بقلم ابو مدين الشافعي

ماجستير في علم النفس من جامعة فؤاد الاول
وسكرتير تحرير مجلة علم النفس





كثر الحديث في هذه الايام عن الامراض النفسية وانتشرت اسماء غريبة مثل الهسترية والمانيا والسكيزوفرينية وغيرها من الاسماء الدخيلة التي يرسلها الكتاب والمتحدثون ارسالا دون ان يهتموا بالحيرة التي يوقعون فيها القراء .

الانسان عادة — لا يخضع الا بالطمع او الخوف فقد اعلنت الانسانية خضوعها للطب الجسماني تحت تهديد الموت وخوفاً من الامراض المؤدية اليه ، ويقدم الطب النفسي خدمات تدفع الانسان الى التمتع بالحياة التي يضمنها الطب الجسمي .

ولا شك في ان الطب النفسي سيصل في القريب العاجل الي نفوذ لا يقل عن نفوذ الطب الجسمي . وبازدياد الاصابات العقلية والنفسية تزداد العناية بعلم النفس المرضي وطرق الوقاية والعلاج ، وما على المصابين بأمراض نفسية الا ان يسمعوا اوصاف امراضهم ليتعرفوها كأمراض خاصة بهم ومن ثم يمكن علاجها والتخلص منها . ولكن موقف المتحدث عن الامراض النفسية موقف دقيق وذلك لسهولة الايحاء . ويتطلب الحديث عن الامراض النفسية سعة في علم النفس وتعمقاً في معرفة اسرار النفس البشرية ، وكيف يمكن مراعاتها وقت تحذيرها من الاخطار التي تهدد الحياة العقلية والصحة النفسية .

هناك طريقة حكيمة يمكن اتباعها وهي مزج الكلام عن الامراض النفسية بالكلام عن طرق مقاومة هذه الامراض ، وعلاجها ، بحيث يجد الشخص امامه السلاح حاضراً ليحارب المرض الحقيقي ان كان مريضاً بالفعل او ليطرد الوهم ان كان متوهماً . وسرعة التوهم مرض نفسي لا يمكن التخلص منه بسهولة . ويحتاج طرد الوهم الى تعويد الشخص على التخلص من الوهم بسرعة ومن نفسه دون ان يلجأ الى معرفة الآخرين — اذ كثيراً ما نؤيد وهماً بمحاولتنا ازالته — والطريق العلمي لطرد الوهم يكون بعدم التعرض للوهم في حد ذاته بل يلجأ الى القضاء على الضعف النفسي الذي هو السبب في كل الاضطرابات النفسية ، ويحاول ان يقوي اساس الصحة العقلية وهو يتلخص في الحركة النفسية .

النشاط النفسي

لا يشعر عامة الناس بان النفس السليمة في حركة مستمرة بمعنى ان الحالات النفسية في تغير متواصل : تارة يشعر الشخص السليم بالفرح وتارة اخرى ينتقل الى الحزن ومن الندم الى الاطمئنان ، ومن الغضب الى الهدوء ، والتسامح ، ويستطيع الشخص بذلك تكييف نفسه مع نفوس الآخرين بسهولة فينتبه الى حديث مخاطبه رغم تضايقه وعدم اهتمامه به . ويستطيع الشخص ان يكيف سلوكه الخارجي حسب المواقف المختلفة . لا يشعر الشخص بأي خوف من المجتمع ويمكنه ان يتذكر بسهوله اسماء اصدقائه . ويتمكن من ذكر بعض ما يخصهم ويهمهم .

ويمكنه ايضاً التحكم في انتباهه وفي ذاكرته اي يمكنه ان يلتقط حالات شعورية جديدة كما يمكنه ان يسترجع حالات نفسية قديمة .

وهذه العمليات النفسية كلها تستمد القوة المحركة لها من النشاط النفسي . وقد كان الناس في الزمن الماضي يفهمون النفس فهماً ميتافيزيقياً ويعتبرونها قوة مجردة ، وهي تعمل عمل الآمر الناهي . والجسم خاضع لها خضوع الخادم المطيع . ويرد العلم هذه الافكار الفلسفية العتيقة ،فقد تضافرت العلوم الانسانية المختلفة على اثبات التكامل الانساني وان النشاط النفسي مستمد من النشاط الجسمي . فالجوع والمرض والتعب حالات تترك اثراً واضحاً في الحالات النفسية . وبعدما كان اطباء اليونان يطيلون الكلام في صلة الامزجة بالحالات الجسمية جاء العلماء المحدثون يثبتون صلة الشعور باحوال الجهاز العصبي والغدد واثبت آخرون صلة الشعور بالمجتمع . ولا يمكن فصل الشعور عن مختلف هذه العوامل التي تعتبر مولدة للنشاط النفسي وموجهة له .

ويمكننا ان نعتبر النشاط النفسي ظاهرة وضعية يمكن دراستها دراسة تجريبية . وقد حاولت تتبع مراحل النشاط النفسي في التفاوت الموجود بين النوم واليقظة ، وبين الانتباه الارادي وبين احلام اليقظة . ولعلنا واصلون الى قياسه والتحكم في تغيراته لنصل الى تغيير فعال في الحالات النفسية والتأثير في حركاتها المتمثلة في مظاهر الشعور .

مظاهر الشعور

ولكي لا اتوغل في الناحية الفنية لعلم النفس، وحتى لا ابتعد بالقارىء عن الموضوع اراني مضطراً الى استخدام مصور تخطيطي يمثل لنا مظاهر الشعور .

هناك تشابه كبير بين التقاط النفس للصور الذهنية وبين التقاط الآلات التصويرية للصور التي ترتسم على الورق الحساس . وقد قال Wundt العالم الالماني ان للشعور بؤرة تشبه العين وان له مجالا معيناً يمكنه ان يدرك في حدوده ولا يستطيع الخروج عنه . ويسمح لنا هذا التصوير الحسن الذي اتى به العالم الالماني ، ان نشبه بؤرة الشعور بالعدسة الفوتوغرافية التي لا يمكنها ان تلتقط الا اذا كانت مفتوحة وكان الورق الحساس (الفلم) متحركاً .

ولعله يمكن — على هذا الاساس — اعتبار الذاكرة كفلم ، ولكنه فلم غير منظم تنظيماً سابقاً لعرضه كما هو الشأن في الافلام السينمائية ، فالصور النفسية مرتبة حسب اهميتها بالنسبة للشخص ، فنرى ان الصور التي تهم الشخص ، وتثير فيه انفعالات شتى ترسخ بسهولة وتحضر امام بؤرة الشعور بسهولة ايضاً . وقد تظهر هذه الصور الهامة لادنى داع او من غير اي داع في بعض الاحيان . وذلك بخلاف الصور التي لا تثير اي انفعال ولا اي اهتمام في الشخص فهذه الصور الميتة تمر سريعاً وتتلاشى دون ان تترك اثراً واضحاً وان كان بعض اتباع مدرسة فرويد التحليلية ، يعطون لكل الصور مكانة في اللاشعور وينسبون اليها آثاراً خفية . ومن هنا جاءت صعوبة احياء هذه الصور واسترجاعها بواسطة التحليل النفسي .

ولكي ترجع صورة ذهنية ماضية امام بؤرة الشعور لا بد من ان يكون الشخص قادراً على الانفصال عن الواقع الحاضر او عن الصور الذهنية الاخرى اي لا بد من ان تتوقف الى حد ما على الحالات الشعورية الجديدة وتتجه بؤرة الشعور الى صور معينة . وما علينا الا ان نلاحظ موقف شخص يحاول ان يتذكر صورة ماضية فنراه يبذل كل جهد لينفصل عن الخارج فيغمض عينيه ويتجه الى الصور الذهنية محاولا ان لا تشتغل حواسه بشيء ما حتى يطلب ممن يخاطبه ان يترك له فرصة كي يتذكر ويحاول الشخص ان ينصرف جهده عن الموضوعات الفكرية ، التي قد تشوش عليه وكثيراً ما يلجأ اشخاص الى استعانة روحية مثل الصلاة على النبي ، وفائدة هذه العملية هي صرف الارادة عن التدخل في توجيه النشاط النفسي . وقد ثبت تجريبياً ان اهم طريقة للتذكر هو التخلي مؤقتاً عن الموضوع الذي نريد احياءه في ذهننا ان لم يأت بعد المحاولات الاولى لان كل محاولة بعد ذلك تزيد الموضوع ابتعاداً عن بؤرة الشعور .

الوقوف النفسي

وقد تصادف الشخص حالة نفسية شديدة كألم بموت قريب محبوب او كندم بخطأ ارتكبه الشخص نفسه فتتسلط الحالة النفسية القوية على بؤرة الشعور وتظل ماثلة امام الشعور ، فلا يمكن للشخص ان يدرك الحالات الشعورية الجديدة ، كما لا يمكنه ان يتذكر الحالات الشعورية الماضية .

وقد ادرك الناس خطر هذا الوقوف النفسي ، واكتشفت الانسانية طريقة بسيطة للعلاج ، وهي محاولة ابعاد الحالة النفسية بالتسلية والترويح عن النفس ليزحزحوا الحالة النفسية الواقفة امام بؤرة الشعور . ويخطىء البعض في المواساة فيحاولون تهوين المصاب

عند الشخص ويطالبونه بألا يفكر في مصابه وهم لا يفطنون الى انهم بهذا العلاج يمدون الفكرة الثابتة بقوة الرسوخ وقوة الاستمرار على البقاء .

ويرجع الكثير من الامراض النفسية الى هذا الوقوف النفسي فالمريض الذي وصل الى الجنون تجده يهذي ويخيل اليك انه ينتقل في كلامه من موضوع الى آخر وتستغرب كثرة تنقلاته حتى انه ليتعذر عليك تتبع كلامه بل تلاحظ تفككاً ظاهراً . بيد انك لو تأملت كل الموضوعات التي يطرقها المريض تأملًا دقيقاً تجد ان هناك فكرة مشتركة تربط بين هذه الموضوعات كلها . ففي مستشفى العباسية يوجد شخص يدعى (ه . ب) كثير الكلام ، عذب الحديث ، لا يخلو من نكت ظريفة يرتاح اليها السامع وقد اكتشفه طلبة الطب وهم يتسابقون الى نافذة حجرته ليستمعوا اليه يتحدث ويهذي . ولقد لاحظت على المريض رجوعاً مستمراً الى نقطة واحدة هي مشكلة القضاء والمحاكم والمظالم التي يتهم الناس بها .

في يوم سمعته يتحدث قائلًا : انا اله لا ينقصني شيء غير روب القاضي . وفجأة انتقل الى الكلام عن الكذب واضراره وقص حكايات شتى عن مساوىء الكذب ثم لم يلبث ان ضرب على ذلك امثلة بالمحامين والتفت الي فجأة – وكان سكوتي في وسط ضجيج الطلبة حرك انتباهه – فقال : انت تسمع ولا تتكلم ، انت لا شك ابن مستشار . وهكذا نجد الهذيان كل جملة كلمة قضائية مقحمة بمناسبة وغير مناسبة .

وادى البحث ببعض العلماء الى اكتشاف منطق في هذيان المرضى يهذي ويدل على وجود فكرة متسلطة اي وقوف نفسي .

اضطراب الحركة النفسية

وتجلى اضرار الوقوف النفسي في الملانخولية او الحسرة النفسية ، وتوجد في مستشفى الامراض العقلية بالعباسية حالات من هذا المرض لها اهميتها من الوجهة العلمية . توجد طفلة صغيرة السن لا يرقى عمرها فوق العشر ، مصابة بالحسرة والغم المستمر . وهذه حالة غريبة اذ الاطفال ابعد الناس عن هذا المرض لشدة حركتهم النفسية . فالطفل مزود بقوة حافظة غريبة وبانتباه قوي فتراه ينتبه الى الالفاظ اللغوية والى الافعال التي يقوم بها الشخص او الاشخاص الذين يحبهم ويحترمهم او يخافهم ويستطيع تقليد كل ما يراه او يسمعه . لا تقول هذه الطفلة المريضة غير كلمات معدودة تكررها باستمرار مثل : « انا حاموت يا دكتور » . وتقول ذلك بصوت منخفض لا نكاد نسمعه . ومن العبث محاولة ابعادها عن هذه الجملة ولفت نظرها الى شيء آخر غير هذا المعنى ومهما سألتها فانها لا تجيب الا بجملتها الوحيدة .

وسبقت بذكر الامراض الخطيرة التي يؤدي اليها اضطراب الحركة النفسية وهناك حالات خفيفة منتشرة لا تعتبر مرضاً ولكنها حالات شاذة ناشئة عن حالة خاصة للحركة النفسية وهذه الحالات شائعة : منها كثرة التردد وسوء الظن بالآخرين وكثرة احلام اليقظة وكثرة النسيان وضعف الانتباه الارادي ، فكل هذه آثار لنقص الحركة النفسية .

الانتباه والحركة النفسية

وفكرة الحركة النفسية كأساس للصحة العقليه تسهل على القارىء فهم العمليات النفسية وتطور الحالات الشعورية على حقيقتها دون رجوع الى التخطيط الوهمي وتمثيل الشعور بعين او عدسة ، وتقوم نظرية الحركة النفسية على الملاحظات الواقعية وتفيد في الحياة العملية . وتؤدي هذه النظرية الى توحيد الشعور بالانتباه ولتغيير اتجاه النفس تحت تأثير العوامل الجسمية والنفسية والاجتماعية . وهذا الاتجاه في حركة مستمرة . ومجال الشعور هو قدرة الانتباه على التنقل من نقطة الى اخرى ويختلف الناس في سرعة الانتباه اي في سرعة تنقل الادراك من نقطة الى اخرى .

ولهذا ارى ان لتمرين الانتباه في الطفولة وتعويده على سرعة التحول وتغيير وجهة الاتجاه اكبر الاهمية في تقوية الحركة النفسية .

وقد دلت بعض الملاحظات على ان الضعف البصري الذي يعطل الانتباه قد يؤدي بالشخص الى ركود نفسي يتجلى فيما نسميه غباوة . ونرى بهذا ان الاعتناء بالانتباه يوفر علينا مجهوداً جباراً نصرفه في محاولات حل العقد النفسية العويصة ، برفعنا مستوى الانتباه الذي به نضمن صحة عقلية ووقاية من الامراض النفسية كما اننا نضمن قدرة اكبر على بذل المجهود والعمل الذي يتطلب تعباً . وتزداد قيمة الشخص الحيوية كلما استطاع الانتقال من عمل الى آخر ولاحظ العلامة جلدشتين ان مستوى الانتباه في الانسانية لا يزال ضعيفاً بالنسبة لما يجب ان يكون عليه ولذلك يمكن لكل امة ان تكافح بكل الوسائل الطبية والتربوية والاصلاحات الاجتماعية لترفع مستوى نشاطها النفسي برفع درجة الانتباه .

بلطيم – مصر　　　　ابو مدين الشافعي

رسائل من باريس

٢

من سلوى

الى سلوى

*

بقلم
الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

ويلي عليك وويلي منك ايها الآبق العزيز!
أهذا ما وعدت ام خدعتني عنك نفسي ؟! ثم تتحدث بعد هذا عن وجد مشبوب، لست ادري لماذا ظل مطوياً حتى اليوم فلم ينفجر الا عند الفرار. آه لو عرفت كيف كنت احرق الارم هذه الايام الطوال منذ فراقنا الموعود باللقاء الجديد! ولم اكن استروح ابانها العزاء الا في ترجمة معبودك رينان لسفر «نشيد الاناشيد»، فكنت اتمثل نفسي «السلمية» واتمثلك ذلك الراعي الذي فرق بينها وبينه اسرها عند سليمان، فأجد قليلا من السلوى في عباراتها الملتهبة بأوار الحنين، ونبراتها الصادرة عن اعماق الوجد الدفين.
ولو رأيتني ابان هذا كله وانا اسأل القادمين من وطنك الكريم نسمات انبائك، واقول للغاديات اليك مثل ما كانت تقوله «السلمية»: «يا بنات القاهرة! ان رأيتن حبيبي فأنبئنه اني اموت من فرط الغرام.» ثم اتذكر اذ كنا نتغنى بذلك «النشيد» في ترجمة معبودنا المشترك الرائعة وكيف كنت تمتلىء حماسة وحرارة لتجديد الزيارة الى وطننا العزيز حينما كنا نقرأ فيه التشبيهات الفاتنة بلبنان وارز لبنان وينابيع لبنان؟ وهل تستطيع ان تتصور — وانت المعجب بهذا السفر، «نشيد الانشاد» — انه يمكن ان يكتب في غير لبنان من بلاد الوحي والنبوة؟ كلا! فكل ما فيه يعبق بذكر جبلنا الفاتن، وينبي عن نضرة وجمال في الطبيعة لا يتوافران الا في هذا الاقليم. وهذه حقيقة كان احرى برينان ان يبينها وهو الذي عرف بلادنا واعجب بما فيها من فتنة وجمال، فليت شعري كيف ندت عن وجدانه المرهف النفاذ.

اراني في حيرة رهيبة من امر هذا الفرار. فاني اخاف عليك

واخاف منك ، كما يلذ لكم ان تقولوا – متلاعبين – ومعشر الوجوديين .

اخاف عليك من فتيات السين بوجوههن الجذابة الغدارة ، وقلوبهن القلب المنهارة ، وشهواتهن الرخيصة الحارة . في الشرق افئدة تعرف للحب مقداره ، لكنها لا تعرفه الا متدثراً بأسراره، شأنه شأن كل شيء لديها : فالشرق لا يدرك الاشياء الا محوطة بهالة من الاسرار ، ولا يعترف بوجود شيء لم يشارك في الاستسرار ، وانه يخشى وضح النهار ، ولو تراه دائماً لائذاً بالليل او بالاستار . وتلك – فيما يزعمون – « حكمة » الشرق ، وما هي في جلية الامر الا «نغمة» الشرق . وانا اعلم ان هذه النزعة الى «الاستسرار» هي نسيج وجدانك الطبيعي ، واعلم ايضاً ان في اعماق نفسك ترقد هذه النزعة موجهة في الخفاء كل عواطفك وافكارك – بيد اني اعلم كذلك انك تحاول جاهداً ان تستقيل من طبيعتك هذه، بل وان تقضي عليها القضاء الاخير ، ومن هنا تحاول دائماً ان تنزع الى « التنوير » ، وان تصطنع لنفسك وجدان النهار ، لكن ! هيهات ! هيهات ! آه ! كم ارثي لحالك وانا اراك تقسر كيانك على هذا التوجيه ، فتتلعثم وتتبدد وتأتي من الحركات والخطرات ما يثير الشماتة عند الاوابن والعطف الساخر عند الآخرين . بهذا كله اتوجس خشية من فتنة سافرة كافرة تأخذ بلبك وفؤادك فتنسى فيها السحر المتدفق من وجوه غانيات بلادك .

واخاف عليك من روعة الطبيعة في اقليم تبدت فيه بكل صولتها وفتنتها ، فأثارت عناصرها الاولى كما تبهر الناظر بكل ما لديها من وثبات القوة ونزوات الارادة . اجل ، لقد كنت دائماً تحدثني عن اعجابك بلبنان من بين بلاد الشرق لانه اقرب بلاده الى تلك الطبيعة العرمة المهتاجة ، وانت الثائر على السكون ، النازع الى الحركة والانفعال ، الهائم بالتجديد والزوال – او لست انت الذي كنت تردد علي في كل لحظة ذكر بيت الفرد دي فني المعروف : « احب ما لن تراه مرتين ! » – لكن ، اجدك كان هذا ، ام كنت تصطنع لنفسك طبيعة اخرى ، شأنك دائماً في كل شيء ! ويا للاسف ؟ انا اقرب الى تصديق الفرض الاخير ، لان طبيعتك الناعمة الساجية لا يهوى مثلها ذلك الاضطراب وذاك الجمال الخشن الشائك . وآية ذلك لديك انك كنت لا تكاد ترى الشمس تسطع بقوة حتى تستسلم لهذه الطراوة الرخية، وتنساق في تيار من الاحلام الهوامة ، غير القوامة، وكأين من مرة فاجأتك في هذه اللحظات الطبيعية، فاذا ما نبهتك اليها رحت تعتذر عنها وعما ينتابك احياناً من ضعف واسترخاء .

ذاك ما اخاف عليك منه ، قد يكون فيه الكثير من المبالغة في التثريب ، بيد اني ما قصدت الا التنبيه لا لنفسك وحدها ، بل ولنفسي انا ايضاً ، ماذا اقول ! بل ولكل فتى عربي من ابناء هذا الجيل القلق اللهيف القلب الزاخر بالمتناقضات . لهذا فما اقوله ها هنا ليس حكماً تقويماً في واقع الامر، انما هو محاولة للتفاهم النفسي والمحاسبة ، بالمعنى الصوفي لهذا اللفظ الخصب الفريد .

اما ما اخافه منك، فثورة في النفس تطيح بالوجدان، وتتعلق بالخطر متجافية عن شاطىء الامان ، وتبلبل في الخاطر يزعزع كل كيان . نعم، انت ممن يجنحون دائماً الى التمرد والعصيان، ويظنون ان اعدى اعدائهم الاطمئنان، ولا يستسيغون الوجود الا متناقض الاحوال والالوان ، ومن شأن هذه الرحلة الى بلاد بينها وبين بلادنا فروق نائية ان تزيد في نماء هذه الميول ، فما بالك وانت ذاهب الى بلاد اصبح البدع السائد في فلسفتها اليوم هو فلسفة « التمرد» الممزوج « باللامفهوم » ، كما تتمثل خصوصاً عند ألبير كامير ؟

ثم اخاف منك نفوراً متأبياً قد ينأى بك عن جانب الافعال والاعمال والانغمار في الواقع الجاري السيال ، وما ألفه الناس في سلوكهم الرتيب من احوال . وحالة « النفور المتأبي » هذه من الظواهر الكثيرة الوقوع كنتيجة للرحلات، خصوصاً لدى النفوس المرهفة الشديدة الانفعال ، وتكاد تكون ضرورية الوقوع عند امثالك من المتوحدين المتبلبلين المتناقضين الذين يلذ لهم دائماً ان يحيلوا داخل نفوسهم الى جحيم يجدون فيه ما تلذ اعينهم وتشتهيه نفوسهم من نار انفعال يصلونها حامية ، وحميم غساق يصب فوق وجدانهم المشبوب ، وزقوم من التجارب الحية العنيفة التي تغلي كالمهل في حساسيتهم اللطيفة الوهاجة .

اوه ! لكن لماذا اخشى عليك هذا كله ، وليس يعنيك من امري شيء . فيما اخال . لقد زورت لي نفسي حينما عرفتك ببلدنا انك كنت في اقوالك الحارة مخلصاً بريئاً تصدر فيها عن شعور زاخر بالسخاء ، وكدت اقول بالحب الشامل . لكنك ما عتمت ان تبديت على حقيقة حالك ، حتى رحت اسائل نفسي : هل كان ذلك حالا من احوال تحولاته وتطوراته المتعددة المتقلبة ؟ لقد طالما حدثني عن احواله المتناقضة وكيف تعروه النزوات تلو النزوات والغمرات بعد الغمرات، وهو في كل منها آية في الاخلاص ووفرة الشعور وفيض الوجدان ، اهو اذاً ممثل يلبس لكل حالة لبوسها

فيخدع الناس عن حقيقة مشاعره ومتوجه بصائره ، ويرى ان كل هذا ليس بضائره ؟

عزيزي !

وان كان ما ابديته نحوي حالا من تلك الاحوال ، فاعلم اذاً انك قد اتقنت المحاكاة واجدت التمثيل ، وهنيئاً لك على هذه البراعة والمهارة ، لكنك ستعلم كذلك كيف تعرف الانتقام لنفسها من لا تزال مع هذه على موفور اخلاصها وحبها :

سلوى

الى سلوى

ماذا !

أأطاف بك مس من الحماقة المألوفة في بنات جنسك ، ام هو ما عهدته فيك من افتتان في الدلال ؟

انت ساذجة القلب ، سخية الشعور ، فيـاضة العواطف ، لكنك سريعة الاحكام ، لا اكاد ابعد عن تملق عواطفك لحظة حتى تظني بي الظنون ، فتفسري اقل كلمة او اشارة تفسيرات ما أنزل الحق بها من سلطان . لقد كنت اتوقع منك تشجيعاً حاراً على على هذا الترحل في البلاد الغريبة النائية ، افليس النكول عنه هو ما كنا نأخذه معاً على ابناء بلادنا في هذه الايام ؟ فهل نسيت هذا كله ؟ لكني لن اؤاخذك بما نسيت ، فما انساك اياه الا شيطان الغرام نعم ، قد تقولين انما احزنك واثارك ليس هو مجرد التنقل وحدي — دونك انت ايتها الطفلة الرقيقة — لكن ، اكان في وسعي ان افعل غير هذا ؟ انت تعرفين حال بلادنا الاسيفة ، وماذا عسى ان تقوله ألسن السوء — اعنى كل الالسن في هذه البلاد — عن مثل هذه الرحلة المشتركة ، وليس بيننا من الصلة الاجتماعية ما يسمح عندهم بمثلها . فهل كنت تريدين بنا اذاً ان نتحدى رأي «الناس» ؟ اوه ! يا لهول الكارثة اذاً في اعينهم المتوقحة ووجوههم الكالحة المنافقة . أنا اعلم جيداً انك ما الى هذا قصدت ، وآية ذلك انك لم تفصحي عنه وان تلمسه المرء بعد عناء في اعمـاق نبراتك المليئة بشائعة الالم الدفين .

واذا كنت لم تقصدي الى شيء من هذا ، فالى اي شيء قصدت اذن ؟ الى العتاب العذب والدلال المتجافي والعبث الرقيق — ما في ذلك من ريب — فاغفري لي اذاً سفرتي مع نفسي وحدها ، فهذا قضاء آثم قضى به علينا معشر المتزمتين المنافقين في بلادنا المزيفة . انهم لايفهمون كيف ان سفرة معاً كهذه ستزداد فوائدها اضعافاً مضاعفة فيجني منها كلا الطرفين الخير العميم لنفسه ولبلاده ، ماذا اقول ! بـل هم يفهمونه بعقولهم وقلوبهم وتأباه افواههم وتصف ألسنتهم الكذب الصراح . ولست ادري الى متى نحفل نحن امام هذه الاوهام التي فرضها علينا «الناس» ولا نبددها وندعهم في حياتهم الميتة هذه يتخبطون . دعيني اقل لك ان علينا يقع الاثم في هذا كله — نحن ابناء هذا الجيل — فاننا من الجبانة بحيث لم نتحدهم ، وندعهم يقولون مـا يشاءون . اي والله نحن جبناء ، والذين يزعمون في انفسهم الشجاعة من بيننا انما يكتفون بالتعويذ مرددين هذه السورة الكريمة : « قل اعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس * الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس » — متخذين هذا الموقف العاجز الصريع ، ولو تدبروا الآية حق التدبر لوجدوا فيها خير محرض واقوى دافع على العصيان والتمرد على « الناس » و « ما يوسوس في صدور الناس » و « ما يقوله الناس » . الا فلنتخذ نحن من هذه الآيات العميقة اكبر مبرر لنا على هذا السلوك ، ونحن بهذا التفسير الديناميكي الحركي لها انما نعطيها — نحن وحدنا — كل معناها ومدلولها ، وننقذها من ذلك التفسير العاجز المستسلم الرخيص .

اوه لماذا استطردت كل هـذا الاستطراد ؟ ألاقناعك وارضائك ، وما ارضاؤك بالشيء العسير الذي يحتاج الى هذا الحجاج المعقد ؟ كلا بل لنذكّر الغافلين ولنذكّر انفسنا ايضاً ، وان اقل ابتسامة لتكفي لتملق رضاك .

لكن ! اين أنا الآن من باريس والشانزليزيه بكستنائه السامقة وغاداته المتبرجة ونغماته الصاخبة ، ومـا في نظرات فتياته من معان ستعلمين نبأها بعد حين .

باريس عبد الرحمن بدوي



انتحار المثّال



بقلم صلاح الاسير

☆

كانت طلائع النور تقرع نافذة متفككة من بيت اشرف على السجود . وكان المثال يتمطى في سريره وهو يتميز من الغيظ ، لان هذه الشمس تقرع نافذته دون استئذان ، ولم يمض بعد على غفوته ساعة ، فلقد ترك الازميل عند اطراف الهزيع الاخير ليستروح في غفوته اسارير التمثال التي كانت تقبل عليه من كوة مسحورة في حلمه المفرد الاحد . . . هذا الحلم الذي كان يحضنه بذراعيه في كل هزيع اخير . . .

ويتقلب المثال المتعب على الفراش قلقاً يسترجع في مضض ما كان من امر حلمه الليلة وكيف اطلت عليه «ظلال» من شاهق ، كان وجهها المستدير وشعرها العميق صورة لفتوة الارض القديمة ، بينما كانت عيناهـا تحسران في حيرة عن تأملات عصور جاثمة فوق جفونها المتعبة الساحرة . .

لقد دعاها « ظلال » منذ طالعته للمرة الاولى في حلمه ، ولقد خاف على ظلاله من الموت فاراد ان يجسدهـا في الحجر ، خوف انفلات وجهها في ليلة عقوق من حلمه الذي لا يعرف سواه ، وهو يعلم ان الظل نذير انهيار كل كائن قائم . .

لذلك اراد لهذا النذير ان يظل ابد الدهر رديق الاسارير غض الرواء على هذه القطعة من الرخام الناصع التي يرى فيها مادة للحياة لا يعيها النور بل هي تتحدى النور في تمايله عليها ومغازلته لها . . . ان في اعماق هذه القطعة من الرخام تباريح تماثيل لا تعد ولا تحصى عصفت بها يوماً زوابع مجنونة فتكتلت وعادت كلها رخاماً متحداً يتواصل مع فلذاته حنين الى مـا سيكون بل ان رأى من امره ما قد كان . . .

ويوم رأى المثال « ظلال » للمرة الاولى انشق الحلم عن وهج في عينيه وطمأنينة في قلبه ، واحس ان له مع الخلود موعـداً مرصوداً . . أليست « ظلال » هبة الغيب ويد المجهول اقبلت على اتم ما ينبغي للكمال ان يكون ؟ اقبلت تراوده هو على تجسيدها دون سواه ؟ . . ويومئذ ذهبت به النشوة الى كل ارض . . . فما يبتغي لتمثال « ظلال » ان يكون من حجر رخيص لا تجاوب بينه وبين الازميل ، وبعد طواف اعوام وتخطط اخـاديد على جبهة المثال التي كانت ملساء كالماء الراكد وجد ضالته الضنينة ، وحمل قطعة الرخام المقدسة الى بيته المتواضع وهو حان عليها يرى فيها كل يومه وغده ، ولقد دار حولهـا كثيراً في خشوع المؤمن وتلاشي الصوفي ، قبل ان يأذن ليمناه بان تمس الازميل . . .

وفي ليلة من الليالي اقبلت عليه « ظلال » في الحلم ، فعرته يقظة حالمة ، وتوسل اليها ان تظل حيث هي وان يظل الحلم معها لان قطعة الرخام تكاد تثب من زاويتها الى سرير المثال ، فلقد طال انتظارها لتصبح اعجوبة الدنيا والآخرة . . .

وافتر ثغر « ظلال » عن مثل الثلج الابيض وقد احاطت به غمائم الشفق فكأنها قد اومأت اليها بقبولها نحوهـا ، وكانت المعجزة ، فلقد ظلت « ظلال » وبقي الحلم معها ، وانتقلت قطعة الرخام بقدرة قادر الى جانب السرير وامسكت انامله المرتعشة باطراف الازميل وافترت الظلمة على غير عادتها عن شعاع غامر ، وتراجعت الشمس عن الشروق ، وبات المثال في جو من الايحاء فريد ، يلين لازميله الرخام ، وهو حائر ينقل عينيه في وله الظافر بين « ظلال » وقطعة الرخام التي استوت بين يديه كائناً سوياً . . .

والمثال لا يعرف في يقظته كيف استطاع ان يحيل الرخـام الى حياة في بعض هزيع . . . هو يذكر الحلم و « ظلال » ومـا كان من امره معهـما في ليلة من الليالي ، ولكن هنالك حقيقة صارخة . . . التمثال اكتمل وتم في فسحة حلم ، لقـد تحققت الاعجوبة . . . اصبحت « ظلال » معه في غرفته، تنبض اساريرها بالحياة ، ويكاد يقفز الى شفتيهـا الازميل الصلد ، ليقبل مراح الجمال الذي مر عليه في ليلة من الليالي . . .

واعتكف المثال ، فهو لا يريد ان يقطع عليه احد لذة هذا الحلم المتصل الذي لا ينعتق منه ابداً . . . فهي معه في نهـاره ، فاذا نام اقبلت عليه في حلمه تضحك له وتحدثه حديث نفسهـا ونفسه ، فاذا كان الصباح وكانت طلائع النور الوقح على النافذة المتفككة ، قام لتوه يقبل قدمي التمثال في سذاجة الطفل الذي يقبل في كل ساعة « لعبته » الجامدة . . .

لقد اصبح المثال بـ « ظلال » رجلا آخر لا يحتفل بدنيـا الناس ، ان دنياه حلم متصل ، وهذا الازميل ذو الرأس الحـاد اصبح يعني للتمثال صلاة الصباح ، وهذا البيت المتواضع اضحى قطعة من الجنة ، لقد اعطاه الله فوق ما اعطى عباده جميعـاً . . . أليس همنا في دنيانا سعادة لا يقطعهـا بين الحين والحين سحاب طويل من الالم والشقاء ؟

وفي ليلة من الليالي رأى « ظلال » في حلمه على كف سوداء تذهب بعيداً بعيداً . . . تذهب الى حيث لم يعـد يرى . . . فاستفاق مذعوراً مكدوداً . . . واضـاء مصباحه الباهت الكليل . . . وندت عنه صيحة راعبة ، لقد رأى بعينيه التمثال يذهب الى البعيد البعيد من النافذة ، ويختفي مـا وراء الغصون اليابسة المقتطعة من اشجار الخريف . . .

وامسك الازميل . . . وغرسه في قلبه،وعلى النجيع الاحمر كان وجه « ظلال » يبتسم كالعهد به مع الحلم في كل ليلة ! . .

صلاح الاسير

الشفق

☆

الجزر الزرقـاء مزروعة على ضفـاف الشفق الاحمر

غمائم الفن على كتفهـا ملقية بسجفهـا الاخضر

مدفوعة بجوهـا لا تني مصبوغة الجـانح والمنسر

والافق الغـارق في سمرة مزهوة برملهـا الاسمر

على مداه الأفيح استرسلت عينـاي في حلم ندي نير

معطر بالذكر اوردته منـاهل الحب فلم يصدر

ساقيته جرعة آمالنا دافقة من نبع المزهر

ونخلة قـائمة تحتوي بظلهـا متاعب المصحر

خالدة في الدهر ترتاده تروي لنـا اسطورة الاعصر

وزورق مجنح سابح في هجعة زرقاء لم تحصر

قف ايهـا الملاح في شطها وداعب المجـداف لا يطفر

☆

الشفق الاحمر مفروشة ألوانه فوق بساط طري

معربد الالحـاظ مخمورها كم عربد اللحظ ولم يُخمر

والشفق الاحمر هل نادمت عيناي نُعمى وهجه المسكر

أو سامرت نجواه احلامنـا فاعتـذر الليل ولم يحضر

وحيرتي في الشفق الاحمر كحيرتي في شعرهـا الاشقر

اللاذقية

احمد سليمان الاحمد

ظامئات ... (*)



☆



بقلم سهيل ادريس



انا وحدي المخطوبة بين هاته الفتيات النضرات. وكنّ سبع عشرة طالبة ، تتراوح اعمارهن بين السادسة عشرة ، والتاسعة عشرة : زهرات عبقات بدأ الشذى يعطّر منهن الاجواء ، وطفقت الانوثة الحالة تتفتح في اجسامهن براعم غضة لشباب يستحير ، وتتيقظ في افئدتهن اماني ناعمة لسعادة ترتجى ...

وما كنّ ليدركن هذه الاماني وتلك الانوثة الا شعوراً مضطرباً حائراً يسري في الجسم رعشات خفية لذة ، ويتنفس في الاعماق تأوهات وتنهدات ... اتكون هذه غير خطوط عاجلة لرسوم فتيات بدأن يتحسسن الحياة ؟ !

اما انا ، فكانت آمالي وصبواتي قد انتظم عقدها ، وسلكت سبيلها الى غاية واضحة تجمعت في خطيبي « منير » الذي الفيت فيه الخطيب والحبيب المثالي ... فما كان لي ان احلم — اذا حلمت — الا به ، وما كانت الصورة التي تملأ قلبي وفكري الا صورته ... وكان منتهى رجائي ان تحث هذه السنة المدرسية خطاها نحو نهايتها ، لانال شهادتي المنتظرة ، فازفّ الى منير ، ونعيش معاً في دفء الحياة الزوجية ، كما يعيش عصفوران هانئان في دفء عشهما اللذيذ ...

وعلى الرغم من ان سعادتي المرجوّة ، كانت زعيمة بأن تشغلني عن كل شيء ، وتحيي في فؤادي حس الاثرة ، وتضرم شعور الانانية ، فانه لم يكن في طوقي ان اتجاهل هذه الحياة المرهفة الرقيقة التي تضطرم حولي ، ولم اكن استطيع ان امحو هذه المظاهر التي كانت تتبدّى لعيني ، تتضح يوماً اثر يوم ... اعني مظاهر الاهتمام لدى زميلاتي الطالبات بذلك الشاب الناضج الذي كنّ يرينه ويسمعن صوته مرة على الاقل كل يوم ... ذلك هو مدرّس الادب العربي!

وما زلت اتمثل في نفسي واذكر الدرس الاول الذي القاه علينا الاستاذ « ناجي » ... ان واحدة منا لم تكن لتجرؤ على ان تنبس بكلمة ، حين فرغ من القائه ، ثم جمع اوراقه وخرج ، ما تزال انظارنا معلقة به .. وما لبثت الاعين ان تلاقت ، فاذا هي تغضي ، خشية ان تخونها النظرات في معانيها ! . وكان طبيعياً ، وقد اغضت الابصار ، ألا تفتر شفتان عن كلمة ، او تنغما بحرف. والحق ان الفتاة التي اعجبت بدرسه وتعليمه — وكلنا معجبات — كانت تخاف ان تتهمها لداتها ، اذا هي عبّرت عن رأيها ، بالميل والاعجاب العاطفي ، فتؤثر الصمت ، دفعاً لهذه التهمة تستهدف لها ...

وكان الاستاذ « ناجي » شاباً ملء برديه الصبا الغض ، وطي جانحتيه الحميا والنشاط . وكان فارع القامة ، ريان الوجه ، اشقر الشعر ، ترف على محياه ظلال الرضى والاطمئنان والفخر . وليس بوسعي ان انكر ان له صوتاً جميلا هادئاً فيه غنة ارستوقراطية ناعمة ، كثيراً ما حركت في قلوب زميلاتي اوتار الاعجاب ، كما كنت المس ذلك من نظراتهن الفاترة الرانية اليه ... وكان خلافاً لمدرّسي الرياضيات والتاريخ لا يستطيع ان يظل جالسا امام منبره ، فهو لا يني يذرع غرفة الدرس جيئة وذهابا ، فيكسب الجو حركة ويقظة ، ويثير تنبه الطالبات حتى كنهه .. فلم يكن من عجب ان تلحظ الابصار تتابعه في الجيئة والذهاب ، وتساير جسمه في حركاته وسكناته جميعاً ! وليس من ريب في ان درس الادب العربي ، كان لذيذاً بحد ذاته ، لانه لا يستلزم جهداً فكرياً شديدا ، ولان موسيقى الشعر الذي كان

(*) من مجموعة قصص « اشواق » التي تصدر قريباً للمؤلف عن « دار العلم للملايين »

يقرأه علينا الاستاذ ناجي ، لشعراء قدامى ومحدثين ، كثيرا مـا كانت تطربنا وتبعث فينـا نشوة الحس ، يدغدغه الانسجام والتساوق .

وانقضى اسبوع تزايد في خلاله اعجابنا بمقدرة مدرسنا الجديد فاذا بنا نستسيغ الادب العربي ونتذوقه ، ونجتهد في مطالعته وتلقنه ، لا سيا وانه مادة اساسية في مواد الامتحان النهائي .

وما لبثت طويلا حتى بدأت ادرك ان زميلاتي اخذن يشعرن بشيء غير التقدير والاحترام للاستاذ ناجي . وكانت دلائل هذا الشعور تظهر في اشكال شتى ، واضحة تارة ومستترة اخرى . فاما صديقتي «عايدة» التي هي اوفر الطالبات جمالا وعذوبة ، فقد كانت تتأنق في ملبسها وتجلو محاسنها في كثير من التفنن والتزين ، حتى لتصبح جديرة بان تجذب اليها انظار اشد الناس زهداً بالمرأة . واما « عفاف » التي تنعم بحظ غير ضئيل من خفة الروح وانسجام القامة وروعة السمرة ، فقد كانت تظهر من الحرص والعنـاية والاهتمام بكتابة الفروض النظيفة المرتبة ، اضعاف ما تظهره اية طالبة . . . واما نادية ، فكنت كثيراً ما اراها تتملى من وجه الاستاذ ناجي ، وترقب حركاته ، وتتابع نظراته . . . وتسألني عن «سامية» اصغر الطالبات سناً ؟ انها تظهر في المدة الاخيرة بمظهر الصموت ، ويندر ان تتكلم . . . افيكون سهم من سهامه قد اصاب فؤادها ؟ الا « سميحة» فهي تبدو في دنيا غير هذه الدنيا . . ولعل التفسير المعقول لذاك ، انها ليست على جمال تتمناه اية فتاة من بنات حواء ! . . .

وانا ، انا المخطوبة ، كان يلذ لي ان اراقب زميلاتي من برجي العاجي الذي لا تدركه الا مؤثرات خطيبي « منير » فأخفي بسمة تود دوماً ان ترتسم على شفتي . . . غير انني كنت اتساءل بلهجة اقتناع واقرار : « اليس ذلك الطيف هو الذي يراود مخيلة كل فتاة في مثل هذه السن . . وانا ، لو لم اكن مخطوبة ؟ . . . » ومع ذلك ، فقد كانت الرغبة تحدوني دائمـا الى ان استغل موقفي ، فاحاول ان افك عقال هذه الالسنة التي لجمتهـا الحشية . . . وقد وجدت هذه الفرصة ذات يوم في بسمة تبادلتها «عايدة» مع الاستاذ ناجي ، وكنت اظن اني الوحيدة التي لاحظتها . . فما ان انتهى الدرس ، حتى بادرت صديقتي عايده على مسمع من جميع الرفيقات بقولي :

— هنيئاً لك يا عايدة . . . لقد منحك «الامير» اخيراً احدى هداياه ! .

ففطنت عايدة الى قصدي ، واكتفت بضحكة مرنة . . . بيد ان « ناهد » ما لبثت ان اجابت بخبث :

— تقصدين البسمة . . . لا يا حبيبتي ، ان هذه الهدية كانت لـ « عفاف » . . .

وفهمت ان بود « ناهد » ان تقول « ان هذه الهدية كانت لي » ولكنها آثرت هذه المداورة . . ذلك انها لم تعترض او تحتج ، حين سارعت عفاف الى القول :

— بل هي لك ، كما لاحظت !

وتركتهن في ما هن فيه ، وخرجت من غرفة الدرس ، وان نادية لتهم بالكلام . . . عجباً لقلوبهن الصغيرة ! ! اتكون بسمة واحدة ، ارجح انها لم تكن تحوي اي معنى مقصود ، موضع نزاع مستحكم كهذا النزاع ؟

بيد انني لم استطع ان اقنع نفسي بان الاستاذ ناجي برىء من كل شيء . . . فلا ريب عندي في ان هذا الجمـال المنثور البكر ، قد انتهى اخيراً بان يؤثر فيه . وهذا هو التعليل الوحيد للبهجة والحبور والجذل التي يبديها في هذه الايام الاخيرة . . فهو يشيع في غرفة الدرس جواً من الغبطة والمرح ، وان كان لا يقصر في اداء الدوس على وجهه الاكمل . . والحق ان درس الادب العربي قد اصبح آثر الدروس واحبها لدى زميـلاتي ، وهن يترقبنه ترقبا . . . او قل يترقبن مدرسه !

واياً ما كان ، فقد القى الاستاذ ناجي عن كتفيه تلك الرصانة والاحتراس اللذين ابداهما عند مجيئه ، فاذا هو يتحدث حديثاً طلقا في كل امر يعرض له خارج حدود الدرس ، فهو يتكلم عن الادباء الفرنسيين الذين يحبهم كروسو ولامارتين ودو موسيه ، وعن الروايات التي اعجب بها حين كان لا يزال على مقاعد الدرس ، منذ سنوات . وقد كان هذا التنويع والاستطراد يقعان من نفوس اترابي موقعا رضيا ، لانهن كن يجدن بهما متعة وتسلية . ولكن حديث الاستاذ كان يتطرق احيانا الى غير الادب ، فيتنـاول القضايا الاجتماعية العامة بالبحث والتحليل . . غير ان الموضوع الذي اثار تنبه الرفيقات ، وحرك مشاعرهن ، وارعش افئدتهن ، هو هذا الحديث الذي تناوله معلم العربية عن « الزواج » . . .

اني لاذكر ان معظم وجوه زميلاتي قد كسيت عند ذاك بحمرة الخجل ، ثم تبودلت النظرات ، وتبعتها بسمات مكتومـة اطلق الاستاذ ناجي عقالها بابتسامة عريضة ثم قال :

— اني ادرك جيداً ان هذا الموضوع يهمكن ! ...

ثم اطلق ضحكة شاركته فيها الزميلات، فزال من صدورهن الخوف الذي كان يراودها ! ومضى يتحدث عن هذه « المشكلة الاجتماعية » كما سماها ، ويعبر عن رأيه في انواع الزواج : فهو يستنكر اشد الاستنكار «زواج المصلحة» ، وهو يهزأ بالمال ان يكون سبيل السعادة في الزواج ، ويرى ان تقارب المستوى الفكري بين الزوجين وسيلة هامة للهناءة الزوجية . واستطرد يمثل على ذلك بقوله :

— فانا مثلا لن اتزوج فتاة نالت فقط الشهادة الابتدائية ...

ثم ضحك هنيهة .. ولست اغالي اذا قلت ان تنبه زميلاتي كان قد بلغ اذ ذاك غايته ، بل لقد حسبت انني اسمع خفقات قلوبهن تتناهى حتى اذني .. واستطرد الاستاذ يقول :

— يجب ان تبلغ زوجتي المستوى الذي بلغته انتن مثلا ..

واسارع الى الاعتراف بانني لن انجح في تصوير الحالة النفسية التي كانت عليها كل رفيقة من رفيقاتي، حين القى المعلم هذه الجملة! لقد بدت على وجه « سامية » جميع مخايل الاضطراب والارتباك ، فهي تبدل جلستها كل لحظة ، وتنقل كتابها من مكان الى آخر ، وتفتح محفظتها ثم تغلقها .. اما « عايدة » فقد غمرت وجهها بكلتا يديها ، حتى اذا رفعتها عنه ، كانت الحمرة التي تصبغه كحمرة الشفق القانية .. واما « ناهد » فقد تهلل وجهها اشراقا وراحت تخفي في ثنايا ضحكتها الطويلة كل ما يعتلج في صدرها من شعور الحنين والرغبة ...

في تلك اللحظة ، لم يعد يراودني اي شك في ان اعجاب رفيقاتي قد تحول الى حب عميق لهذا الشاب الجميل القوي الذي يملأ نفوسهن وقلوبهن ، ولم ارتب لحظة في ان كل واحدة منهن اعتقدت بثقة وايمان انها هي المقصودة في كلام الاستاذ ، وانها ستكون ... زوجته العتيدة ! والحق ان زميلاتي رحن يتبادلن — بعد انتهاء ذلك الدرس — نظرات يردنها ان تكون مسالمة صديقة ، فاذا هي تخونهن وتنكشف عن الاستعداء والحسد .. لقد كانت عفاف تستمع الى كلام عايدة بشيء غير قليل من الاستخفاف والتكبر ، وكانت ناهد ترمق سامية بنظرة شزراء فيها الاحتقار والكره . الا انا ، فقد كنت محور البسمات الصادقة والود الخالص ، فانهن لم يكنّ يجدن فيّ منافسة ...

ولم يمض اسبوعان آخران حتى لمست ظاهرتين جديدتين : اولاهما تغيّب سامية عن الحضور لمرض الم بها ، ولم اشك في انه « مرض الحب » ... والثانية ان عايدة وعفاف وناهد ونادية قد تقاربت ميولهن ، فاذا بالود يحل محل الحسد ، واذا بالصداقة توشج بينهن الاواصر .. ولم اعجب لهذه الظاهرة ، فان العواطف المتماثلة والاهداف المبتغاة ، تجتمع كلها على صعيد واحد ، مهما تباينت الوسائل ... ولاحظت كذلك ان فارستين جديدتين ظهرتا في الميدان ، هما نعمت وراجية ، اللتان لا يفترق ظل احداهما عن ظل الاخرى .. ولكن الغريب في الامر ، ان هؤلاء الفتيات اصبحن اكثر استعداداً واقرب مشاركة في التحدث عن الاستاذ ناجي . غير ان حديثهن كان ينحصر في انتقاده وتوجيه الملاحظات عنه ، فاذا قالت عفاف انه مفرط في الطول ، اجابت راجية انه لا يعنى بملابسه ولا يتأنق ، وتابعت نادية بانه مغرور احيانا ، ويفتقر الى التواضع ... وسائل مصطنعة جمة لاخفاء العاطفة الحقيقية ، والتفريج عن النفس التي ارهقها التمادي في الامل والاسترسال في الترجي !

وفجأة ، ذات يوم ، سرى بين صفوف الطالبات نبأ هزهن جميعا : لقد عقد الاستاذ ناجي خطبته على فتاة مثقفة تخرجت من مدرسة « ... »

وسارعت استطلع تأثير النبأ في وجوه زميلاتي المسكينات ، فاذا هن هادئات ، يكظمن — على جهد — شعور الخيبة والاسى والحرمان . بيد انه وسعني ان ادرك من نظراتهن ان الحقد والغيظ والحنق تفيض من نفوسهن ...

وكانت مقاعد عايدة وناهد ونادية وعفاف خالية في اليوم التالي حين بدأت الدروس ... اما نعمت وراجية ، فقد ظلتا في غرفة الدرس ، تقرآن كتاباً لم استطع ان اعرف عنوانه ..

وكان تغيب هؤلاء الفتيات كافياً لان يحدث الاضطراب في غرفة الدرس بل في المدرسة كلها ، اذ ما كاد الخبر يبلغ مسامع المديرة حتى ارسلت من يسأل عن سبب تغيب الفتيات في بيوتهن .

ولم تمض ساعة ، حتى قدمت المدرسة امهات عايدة وناهد ونادية وعفاف ، فخلت بهن المديرة في مكتبها ردحا من الزمن .

وفي اليوم التالي ، عادت الفتيات المتغيبات الى المدرسة ، ولكن الاستاذ ناجي لم يعد ...

سهيل ادريس

من اعلام السجناء عند الاقدمين

بقلم نور الدين بيهم
امين المخطوطات في دار الكتب اللبنانية

✱

الحطيئة توفي نحو ٣٠ هـ

ابو مليكة، جرول بن اوس بن مالك العبسي: شاعر مخضرم. ادرك الجاهلية والاسلام. كان هجاءاً مراً لم يكد يسلم من لسانه احد وهجا امه واباه ونفسه واكثر من هجاء الزبرقان بن بدر فشكاه الى عمر بن الخطاب فسجنه عمر بالمدينة فاستعطفه بابيات من سجنه فعطف عليه واخرجه ونهاه عن هجاء الناس[1].

قال الاصمعي: «كان الحطيئة سؤولاً ملحفاً كثير الشر قليل الخير بخيلاً قبيح المنظر رث الهيئة مغموز النسب فاسد الدين».

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر
انت الامام الذي من بعد صاحبه ... القت اليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها اذ قدموك لها ... لكن لانفسهم كانت بك الاثر

هدبة ابن خشرم توفي سنة ٥٤

هدبة بن خشرم بن كرز من بني عامر بن ثعلبة من قضاعة شاعر فصيح مرتجل راوية، من اهل بادية الحجاز. قتل رجلاً من بني رقاش اسمه زيادة بن زيد وابتعد عن المدينة مخافة ان يقبض عليه واليها سعيد بن العاص فارسل سعيد الى اهل هدبة فحبسهم بالمدينة وبلغ هدبة ذلك فاقبل مستسلماً وتخلص اهله وبقي محبوساً ثلاث سنين ثم حكم عليه بأن يسلم الى اهل المقتول ليقتصوا منه. فاخرج من السجن وهو موثوق بالحديد ودفع اليهم فقتلوه امام والي المدينة وجمهور من اهلها. واظهر صبراً عجيباً حين قتل.

وارتجل في السجن وبين يدي قاتله شعراً كثيراً وكان راوية الحطيئة الشاعر[2].

دخل جميل بثينة على هدبة بن خشرم السجن وهو محبوس بدم زيادة بن زيد واهدى له بردين من ثياب كساه اياهما سعيد بن العاص وجاءه بنفقة فلما دخل عليه عرض ذلك عليه فقال هدبة: انت يا ابن قميئة الذي تقول:

بني عامر أنى انتجعتم وكنتم ... اذا عدد الاقوام كالخصية الفرد

اما والله لئن خلص الله لي ساقيّ لامدن لك مضارك خذ برديك ونفقتك فخرج جميل فلما بلغ باب السجن خارجاً قال: اللهم اغن عني اجدع بني عامر.

صالح بن عبد القدوس

كان حكيماً اديباً وشاعراً مجيداً اتهم بالزندقة فامر المهدي بقتله. ومن شعره في الحبس:

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها ... فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى
اذا دخل السجان يوماً لحاجة ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا ... اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا
فان حسنت لم تأت عجلى وابطأت ... وان قبحت لم تحتبس وانت عجلى
طوى دوننا الاخبار سجن ممنع ... له حارس تهدى العيون ولا يهدى
قبرنا ولم ندفن ونحن بمعزل ... عن الناس لا نخشى فنغشى ولا نغشى
الا احد يأوي لاهل محلة ... مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا

اتهم بالزندقة رغم انه كان يجلس للوعظ في مسجد البصرة فأسر[3].

الدرمم الموصلي ١٢٥ ـ ١٨٨

ابو اسحق ابراهيم بن ميمون التميمي: اوحد زمانه في الغناء

---

(١) فوات الوفيات ج ١ ص ٩٩.
(٢) الاغاني ج ٢١ ص ١٦٩.
(٣) ياقوت الحموي معجم الادباء ج ١٢ ص ٦ـ١٠ والسيد المرتضى: الامالي ج ١ ص ١٠١.

واختراع الالحان . اصله من بيت كبير في العجم وانتقل والداه الى الكوفة فولد فيها ومات ابوه وهو صغير فكفله بنو تميم وربوه فنسب اليهم ورحل الى الموصل فاقام سنة يتعلم الغناء فنسب اليها ايضاً واتصل بالخلفاء فكانت له عندهم منزلة حسنة واول من سمعه من الخلفاء المهدي العباسي ثم حبسه لشربه النبيذ فحذق القراءة والكتابة في الحبس . ولما ولي الرشيد كان ابراهيم من ندمائه ومات في بغداد[4].

ابو الفيض ثوبان بن ابراهيم توفي سنة ٢٤٨

وقيل الفيض بن ابراهيم المصري المعروف بذي النون . كان اوحد وقته علماً وورعاً روى عن الامام مالك وذكر ابن يونس عنه في تاريخه انه كان حكيماً فصيحاً وكان ابوه نوبياً وقيل من اهل اخميم من صعيد مصر مولى لقريش .

سعوا به الى المتوكل فاستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل ورده مكرماً .

قال اسحق بن ابراهيم السرخسي : بمكة سمعت ذا النون وفي يده الغل وفي رجليه القيد وهو يساق الى المطبق والناس يبكون حوله وهو يقول : هذا من مواهب الله تعالى ومن عطاياه[5].

ابو عثمان الجاحظ ـ ٢٥٥

هو عمرو بن بحر الكناني وكان ملازماً لمحمد بن عبد الملك الزيات وكان منحرفاً عن احمد بن دؤاد للعداوة التي كانت بين احمد ومحمد فلما قبض على ابن الزيات هرب الجاحظ فقيل له لم هربت فقال خفت ان اكون ثاني اثنين اذ هما في التنور . (يريد ما صنع بابن الزيات من ادخاله تنوراً فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات .)

فلما اتي بالجاحظ الى ابن دؤاد وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قيص سمل قال له والله ما علمتك الا متناسياً للنعمة كفوراً للصنيعة معدناً للمساوىء وما قصرت باستصلاحي لك ولكن الايام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة دخلتك وسوء اختيارك وغالب طبعك فقال الجاحظ خفض عليك ايدك الله فوالله لان يكون لك الامر علي خير من ان يكون لي عليك ولان اسيء وتحسن احسن في الاحدوثة عنك من ان احسن وتسيء ولان تعفو عني في حال قدرتك اجمل بك من الانتقام مني فقال ابن دؤاد قبحك الله فوالله ما علمتك الا كثير تزويق اللسان وقد جعلت بيانك امام قلبك ثم اضطغنت فيه النفاق . يا غلام صر به الى الحمام وامط عنه الاذى فاخذت عنه السلسلة والقيد وادخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب فلبس ثم اتاه فصدره مجلسه ثم اقبل عليه وقال هات الآن حديثك يا ابا عثمان[6] .

بكار بن قتيبة ١٨٢ ـ ٢٧٠

تولى القضاء بمصر سنة ٢٤٩ وقيل قدمها متولياً قضاءها من قبل المتوكل وله مع احمد بن طولون صاحب مصر وقائع مذكورة وكان ابن طولون يدفع له كل سنة الف دينار خارجاً عن المقرر له فكان يتركها بختمها ولا يتصرف فيها فلما دعاه الى خلع الموفق ابن المتوكل امتنع القاضي بكار من ذلك فاعتقله ابن طولون ثم طالبه بجملة المبلغ الذي كان يأخذه كل سنة فحمله اليه بختمه وكان ثمانية عشر كيساً فاستحيا ابن طولون منه وكان يظن انه اخرجها وانه يعجز عن القيام بها .

ثم امر بسجنه وبقي مسجوناً مدة سنين وكان يحدث في السجن من طاق فيه لان اصحاب الحديث شكوا الى ابن طولون انقطاع سماع الحديث من بكار وسألوه ان يأذن له في الحديث ففعل .

وتوفي وهو باق على القضاء مسجوناً سنة ٢٧٠ في مصر وبقيت مصر بعده بلا قاضٍ ثلاث سنين[7] .

الصابي ٣١٣ ـ ٣٨٤

ابو اسحق ابراهيم بن هلال بن زهرون الحراني : نابغة كتاب جيله كان اسلافه يعرفون بصناعة الطب ومال هو الى الادب فتقلد دواوين الرسائل والمظالم والمعاون تقليداً سلطانياً في ايام المطيع لله العباسي ثم قلده عز الدولة بختيار الديلمي ديوان رسائله سنة ٣٤٩ فكانت تصدر عنه الى عضد الدولة (ابن عم بختيار) بما يؤلمه فحقد عليه . ولما قتل عز الدولة وملك عضد الدولة بغداد قبض على الصابيء سنة ٣٤٩ وسجنه وامر بأخذ امواله ولما ولي صمصام الدولة (ابن عضد الدولة) اطلقه سنة ٣٧١ وكان صلباً في دين الصابئة عرض عليه عز الدولة الوزارة ان اسلم فامتنع وكان يحفظ القرآن واحبه الصاحب بن عباد فكان يتعصب له ويتعهده بالمنح على بعد الدار . وفي سجنه الف كتابه « التاجي » في اخبار بني بويه[8] وله غيره من الكتب مع ديوان شعر .

(٤) الاغاني ج ٥ ص ٤ (٥) وفيات الاعيان ج ١ ص ١٢٦

(٦) السيد المرتضى : الامالي ج ١ ص ١٣٩

(٧) ابن خلكان ج ١ ص ١١٣ - ١١٤

(٨) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج ٢ ص ٢٠ - ٩٤

وفي السجن قال مستشفعاً :

يا ايها الرؤساء دعوة خادم ... اوفت رسائله على التعديد
ايجوز في حكم المروءة عندكم ... حبسي وطول تهددي ووعيدي
انسيتم كتباً شحنت فصولها ... بفصول در عندكم منضود
ورسائلاً نفذت الى اطرافكم ... عبد الحميد بهن غير حميد
يهتز سامعهن من طرب كما ... هز النديم سماع ضرب العود
انا بين اخوان لنا قد اوثقوا ... بسلاسل وجوامع وقيود
وموكلين بنا نذل لعزهم ... فكأننا لهم عبيد عبيد
والله ما سمع الانام ولا رأوا ... ذوا توكل قبلهم باسود
من كل حر ماجد صنديد ... في كل وغد عاجز رعديد
قصرت خطاه خلاخل من قيده ... فتراه فيها كالفتاة الرود

ومن الحبس كان لا يفتأ يبعث بقصائده متوسلاً وراجياً كاللامية وسواها وما رقق عضد الدولة منها ما رققته قصيدته القافية ومنها :

أجل في البنين الزهر طرفك انهم ... حووا كل مرأى للاحبة مؤنق
وتمت لك النعمى بقرب كبيرهم ... فاهلاً به من طارق خير مطرق
موال لنا مثل النجوم مطيفة ... بمولى موال منك كالبدر مشرق
وقد ضمهم شمل لديك مؤلف ... فارث لذي الشمل الشتيت المفرق
وان كنت يوماً عنهم متصدقاً ... فمن مثل ما خولت فيهم تصدق
فلي مقلة تقذى اذا ما مددتها ... الى خلة ممن اعول ودورق
اناث وذكران ابيت من اجلهم ... على كمد بين الحجابين مقلق
رسائلهم تأتي بما يلدغ الحشا ... ويصدع قلب النازع المتشوق
فباكية ترثي اباها ولم يمت ... وبائسة من بعلها لم تطلق
وزغب من الاطفال ابناء منزل ... شوارد عنه كالقطا المتمزق
اذا حرقوا قلبي بنجواهم انثنت ... عداك تناجيني فتطفي تحرقي
شهدت لئن انكرت انك صنتني ... ولم ارع ما اوليتني من ترفق
لقد ضيع المعروف عندي واصبحت ... ودائعه مودوعة عند احمق
وحبسك لي جاه عريض ورفعة ... وقيدك في ساقي تاج لمفرقي
وما موثق لم تطرحه بموثق ... ولا مطلق لم تصطنعه بمطلق
خلا ان اعواماً كملن ثلاثة ... تعرقت البقيا اشد تعرق
وقد ظمئت عيني التي انت نورها ... الى نظرة من وجهك المتألق
فيا فرحتي ان القه قبل ميتتي ... ويا حسرتي ان مت من قبل نلتقي
خدمتك مذ عشرون عاماً موفقاً ... فهب لي يوماً واحداً لم اوفق
فان يك ذنب ضاق عندي عذره ... فعندك عفو واسع غير ضيق .

ابو فراس الحمداني ٣٢٠ _ ٣٥٧

ابو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي : امير شاعر فارس وهو ابن عم سيف الدولة . كان الصاحب بن عباد يقول : « بدىء الشعر بملك وختم بملك » يعني امرأ القيس وابافراس وله وقائع كثيرة قاتل بها بين يدي سيف الدولة . وكان سيف الدولة يحبه ويجله ويستصحبه في غزواته ويقدمه على سائر قومه. كان يسكن (منبج) بين حلب والفرات ويتنقل في بلاد الشام واسرته الروم في بعض وقائعها بمنبج سنة ٣٥١ وكان متقلداً لها فامتاز شعره في الاسر بروميانه ومات قتيلاً في صدد (على مقربة من حمص) قتله احد اتباع ابي المعالي بن سيف الدولة وكان ابو فراس خال ابي المعالي وبينهما تنافس[9] . وقصائد سجنه المعروفة بالروميات اشهر من ان تذكر .

ابو اسماعيل الطغرائي ٤٥١ _ ٥١٣

هو الحسين بن علي نسبته الى من يكتب الطغراء، وهي الطرة التي تكتب فوق المناشير بالقلم الجلي تتضمن اسم الملك والقابه. ولي الوزارة للسلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل وانه لما جرى النزاع بينه وبين اخيه السلطان محمود وكانت النصرة لمحمود اخذ الطغرائي فاعتقل ولما قدم للقتل امر السلطان ان يشد الى شجرة وان يقف تجاهه جماعة بالسهام وان يقف انسان خلف الشجرة يكتب ما يقول وقال لاصحاب السهام لا ترموه حتى اشير اليكم فوقفوا والسهام مفوقة فانشد الطغرائي في تلك الحال .

ولقد اقول لمن يسدد سهمه ... نحوي واطراف المنية شرع
والموت في لحظات احور طرفه ... دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل يرى ... فيه لغير هوى الاحبة موضع
اهون به لو لم يكن في طيه ... عهد الحبيب وسره المستودع

والطغرائي هذا هو صاحب لامية العجم المشهورة[10] .

ابن سينا ٣٧٠ _ ٤٢٨

هو ابو على الحسين بن عبدالله ولد في انشة وهي قرية من ضياع بخارى . تمهر في الفلسفة والعلوم ونبغ في الطب، واشهر كتبه في الطب القانون واشهرها في الفلسفة الشفاء والنجاة والاشارات ولعله اكثر من حظي بالشهرة من فلاسفة العرب في اوروبا، فقانونه ترجم الى اللاتينية وطبعت ترجمته من سنة ١٤٧٣ اكثر من ثلاثين مرة وعنوانها :

Canon medicinae

اعتقل ومات في السجن فقيل فيه :

رأيت ابن سينا يعادي الرجال ... وفي السجن مات اخس الممات
فلم يشف ما نابه « بالشفا » ... ولم ينج من موته «بالنجاة»[11]

ابن تيمية ٦٦١ _ ٧٢٨

امام الائمة ومفتي الامة وصاحب التصانيف التي لم يسبق الى

(٩) قاموس الاعلام ص ٢٠٢ – ٢٠٣ .
(١٠) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج ١٠ ص ٥٦ – ٧٩
(١١) عطايا الدمشقي : المنتخب في تاريخ اداب العرب ص١٦٢و١٧٢

مثلها ويقول محمد بن شاكر[١٢] «وحصل له المحن وفاته من المحن والامور والتنقلات ما يحتاج الى عدة مجلدات» .

سجن بأمر السلطان واخليت له في السجن قاعة حسنة واجري اليها الماء، واقام فيها ومعه اخوه يخدمه واقبل في سجنه على العبادة وتصنيف الكتب والرد على مخالفيه .

وكتب في المسأله التي حبس بسببها مجلدات عديدة الى ان منع من الكتابة والمطالعة واخرجوا ما عنده من الكتب ولم يتركوا له دواة ولا قلماً ولا ورقة . وكتب عقيب ذلك بفحم يقول ان اخراج الكتب من عنده من اعظم النقم وبقي اشهراً على ذلك حتى اتاه اليقين وكان قد مرض عشرين يوماً فاسف الخلق عليه وحضر جمع كثير الى القلعة فاذن لهم بالدخول وجلس جماعة عنده قبل غسله وتبركوا برؤيته وتقبيله ثم انصرفوا وحضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك وكان دفنه وقت العصر او قبلها بيسير واغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف عن الحضور الا ناس قليل ومن عجز من الزحام وحضرها من الرجال والنساء اكثر من مائتي الف[١٣] .

شهاب الدين السهروردي

اتهم بالالحاد والزندقة فاعتقل وكان يردد في معتقله :

ارى قدمي اراق دمي

فواندمي

وهو صاحب الحائية المشهورة التي منها :

ابداً تحن اليكم الارواح ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب اهل ودادكم تشتاقكم والى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمتا للعاشقين تكلفوا ستر المحبة والهوى فضاح(١٤)

ابن المرتضى توفي سنة ٨٤٠

كانت له المكانة الاولى والمرتبة العليا بين علماء زمانه وكان يتمتع باحترام الناس واجلالهم له .

وهو احمد بن يحيى بن المرتضى من ائمة الزيدية باليمن . توفي في سجن صنعاء ومن تآليفه البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الامصار . والف في سجنه كتابه : «الازهار في فقه الائمة الاخيار»[١٥] .

نور الدين بيرم

---

(١٢) محمد بن شاكر صاحب فوات الوفيات ج ١ ص ٤٠

(١٣) راجع ايضاً قاموس الاعلام ١٦٨

(١٤) هياكل النور «المقدمة» ص ٢

(١٥) قاموس الاعلام ص ٨٥ .

للشاعر شللي

☆

احلام الشاعر . . .

انها بذرة الخلود ، غرستها شفاهه كالحب الطاهر !
انه لا ينشد السعادة الزائلة ، بل يتغذى بالقبل الخيالية !
فيأتي بثمرات طيبة ، ثمرات الافكار !
يرقب البحيرة الساجية ، وشعور الشمس الذهبية
ونحل الحديقة الاصفر ، في البراعم العاجية
انه لا يكترث لمعرفة كنه الاشياء ،
ولكنه يخلق منها دوحة خالدة !

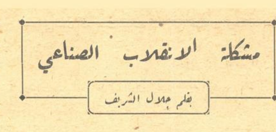
الى . . .

الموسيقى ، بأصواتها العذبة ،
تتلاشى وهي ترن في الذاكرة !
النسيم ، بأريجه البنفسجي ،
يتهادى ليبعث الذاكرة من جديد !
اوراق الورود تتساقط ، بعدموتها ، على وسائد العشاق
وهكذا انت ، عندما تموتين ، تنهال عليك افكارك
ويرقد الحب معك رقدته الابدية . . !

عندما . . .

عندما ينطفيء الحب ، تظلم الارض
عندما تتبعثر السحب ، يتلاشى مجد قوس قزح
عندما يتحطم القيثار ، تنطوي نغماته الحلوة
بعدما تترنم الشفاه ، تجف ثناياها الفاغمة !

المسميه — فلسطين عبد المنعم العالم



مشكلة الانقلاب الصناعي

بقلم جلال الشريف

تعاني الامة العربية الى جانب مشاكلها الاصيلة، التي رافقت تطور حياتها وكانت سبباً في انحرافها عن مجرى حياتها الطبيعي، مشاكل طارئة ولدت من جديد في المجتمع العربي ، وبدأت تترعرع فيه اولا : لانهيار مثله العليا ومبادئه الاخلاقية وتحجرها واستحالتها الى اوثان باردة لا تعرف للحياة معنى ، وثانياً : لاختلاف وضع الامة العربية بالنسبة للغرب ، هذا الاختلاف الذي يجمل الغرب لتقدمه وتأخر الامة العربية في ميدان الابداع الحضاري وقوته وضعفها من حيث تفككها واستحالتها الى اجزاء. فقدت الحياة ككل واحد ، المحور الذي تدور الامة العربية حوله ، والمثال الذي تستمد منه الاسس والمبادىء لبناء نهضتها ، والحلول والاساليب لمعالجة الخطائها[1] .

فالغرب قد مر بمراحل وانقلابات خطيرة ، فعانى من جراء كل هذا مشاكل خاصة به ، نشأت بنتيجة تلك المراحل التي مر بها والانقلابات التي انتابته .

ولقد كانت استجابته لتلك المشاكل والحلول التي قدمها لها تتفق وحقيقة المشكلة التي عاناها ، وتنسجم مع الاسس العميقة التي قامت عليها حياته ، وكونت له نظرته الخاصة الى مشاكل مجتمعه ، ومن هذه المشاكل مشكلة الانقلاب الصناعي .

فالغرب قد عانى انقلاباً ومر بمرحلة من اعنف المراحل التي طرأت عليه ، هذا الانقلاب او هذه المرحلة هي الانقلاب الصناعي الذي كان له اثر حاسم في توجيه الحضارة الغربية وجهات جديدة، فهو خطوة خطيرة اجتازها الغرب ولا يزال يعاني آثارها ويتحمل نتائجها .

ولهذا الانقلاب اسبابه ونتائجه التي يعرفها الاقتصاديون ، ولعل تقصي اسبابه لا يهمنا بالدرجة التي تهمنا بها معرفة نتائجه ، لان هذه المعرفة تشكل جزءاً كبيراً من الحلول التي قدمها الغرب للمشاكل التي كانت وليدة هذا الانقلاب ، هذه الحلول التي يحاول الغرب فرضها على الامة العربية وعلى العالم ، والتي لاقت صدى في المجتمع العربي فتبناها الكثيرون ورأوا فيها المثل العليا التي يجب ان تتحقق في المجتمع العربي وسائر المجتمعات . ولقد نشأت من هذه المحاولة بالنسبة للعرب مشكلة جديدة قد وضعها الغرب امامنا، فنحن مضطرون لمجابهتها وعرضها على حقيقتها حتى نستطيع ان نتخذ لانفسنا منها موقفاً قومياً خاصاً بنا ، يحول بينها وبين قضائها على شخصية الامة العربية التي لم تثبت وجودها والتي لا تزال في مرحلة البدء، واستعادة طابعها المفقود ، فما هي نتائج الانقلاب الصناعي والحلول التي قدمها الغرب كنتيجة للمشكلة التي عاناها بتأثير هذا الانقلاب، هذه الحلول التي تحاول ان تفرض علينا ، وما هي حقيقة وضعنا وموقفنا من كل هذا ؟

لم يكن الغرب قبل الانقلاب الصناعي يعرف الحرية الاقتصادية كمذهب معين في الاقتصاد، او كقاعدة عملية في الانتاج والتبادل، وهو بالاحرى لم يكن يعرف الازمات الاقتصادية بشكلها الحالي، ولا مشكلة العمال كما نفهمه نحن اليوم من هذه المشكلة، بل كان يرزح تحت وطأة النظام الاقطاعي الذي خلفته له القرون الوسطى.

ومما لا شك فيه ان هذا الانقلاب قد استتبع قيام مبدأ الاقتصاد الحر ، او بمعنى آخر النظام الرأسمالي الذي ساعد بدوره على انتشار هذا الانقلاب ، واتساعه وشموله على مدى واسع .

فالانقلاب الصناعي قد خلق لنفسه المبدأ الخاص الذي يستطيع ان يعيش ويتسع فيه، فأثمر هذا النظام الجديد الذي يلائمه كل الملائمة والذي قام على انقاض المجتمع الغربي الاقطاعي وساعد على هدمه هذا المجتمع الذي لم يعرف الآلة الميكانيكية .

والذي كان يشل الصناعة ويرهق المصنع اليدوي والانتاج المانيفاكتوري بقيوده ومحافظته على تقاليد الحرفة واصولها المتبعه، تلك التقاليد التي كانت تعيق تقدمها وتشل الانتاج من حيث الكمية وتمنعه من اي تطور من حيث الشكل والكيفية .

ولقد كان لا بد للصناعة اذا ارادت ان تتحرر من هذه القيود من ضربة تكيلها لهذه التقاليد والنظم المتبعة ، فكانت ثورة الاسعار في القرن السابع عشر وازدياد القوة الشرائية الذهبية الاميركية التي غزت اوربا ودفعت هذه المصانع الى التفكير في زيادة الانتاج لارتفاع الاسعار دون مبالاة باي شيء آخر ، فبدأت هذه القيود تتحطم وتنهار، واخذت الآلة تشق طريقها لانها كانت الواسطة الى زيادة الانتاج التي يسعى اليها المنتجون، ولاحت طلائع الانقلاب الصناعي الذي اخذ يتحقق منذ الربع الثاني والثالث من القرن الثامن عشر وبدأ يقضي على النظم الاقطاعية الاقتصادية ،

(١) راجع الاديب عدد آب ١٩٤٦، نحن ومشاكل الغرب .

ويقرر في النصف الثاني من القرن نفسه على لسان آدم سميث المذهب الاقتصادي الحر الذي اقرت الثورة الفرنسية اسسه الاجتماعية وبدأ يسيطر على الغرب .

ولقد اخذت الصناعة تتضخم وتجلب اليها من القرى العمال المختلفين ، وبدأت تساعد على تشكيل طبقة كبيرة من العمال الصناعيين الذين اخذوا يعانون شر الازمات الاقتصادية التي تنشر في ركابها الموت والبطالة ، وذلك بعد ان بلغ مذهب الحرية الاقتصادية اوجه في نهاية الربع الثالث من القرن التاسع عشر ، وبدأت الدول تتخلى عنه وتكفر به فتقيم الحواجز الجمركية فيما بينها ، وتعمل على اتباع سياسة اكتفائية خاصة بها ، وهكذا بلغ هذا المبدأ اوجه واخذ يميل نحو الانحدار في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، وجاءت الحرب العظمى فكانت ضربة قاضية عليه اذ اخذت كل دولة تعمل على ان تنتج كل ما تحتاجه فانهار التبادل الحر واخذ التقسيم العالمي للصناعة والتخصص في الانتاج يزول نهائياً وابتدأت الازمات الدورية التي اخذت تهدد المجتمعات ببطالة كاسحة ، فالمصلحة الخاصة لم تعد تنسجم مع المصلحة العامة ، والتوازن العفوي لم يعد يستقيم الا بالكوارث فالازمة امر لا بد منه ، من هنا اخذت الثقة بصلاح هذا المبدأ تزول ، ورأى الكثيرون صدق آراء بعض العلماء الاقتصاديين الذين استطاعوا ان يدركوا ما سيصير اليه النظام الرأسمالي ، وتنبأوا بالازمة وبأن هذا النظام يحمل في نفسه اسباب موته ، واخذت المطاعن توجه اليه من حيث اخلاله بالعدالة الاجتماعية ، واعترافه بعدم التساوي في نقاط البدء في الحياة بين الافراد ، وجعله اجور العمال التي هي اساس حياتهم غير ثابتة بشكل يكفل لهم حياة شريفة بل هي خاضعة لقانون العرض والطلب ، هذا القانون الذي يلقيهم واسرهم بين الآونة والاخرى على القارعة لا يملكون ما يقوم بسد رمقهم ، واخذ العمال الذين ابتدأوا يفهم وضعهم الحرج يتكتلون لتحقيق العدالة الاجتماعية المفقودة ، واخذت الفلسفات الاقتصادية التي وجدت طريقها الى صدورهم تثمر وتزهر ، والنظم الاشتراكية والمناهجية والاصلاحات الحقيقية والمرتجلة تحتل مكاناً بارزاً في انظمة الدول والحكومات التي اصبح الكثير منها دول وحكومات عمال .

ولقد اصبحت بديهيات النظام الرأسمالي واسسه الثابتة عرضة للشك والريب والانكار ، فحق الارث وحق الملك لم يعد يسلم بهما الكثيرون ، واصبحا عرضة للنقاش والاخذ والرد بعد ان لم يكن يساور احداً الشك فيهما حتى لقد انكرا وتقلص ظلهما عن كثير من المجتمعات . وهكذا اخذ الغرب على ضوء هذه المفاهيم والتطورات الجديدة التي اخذ يمر بها ، يشيد لنفسه نظاماً جديدة قديمة تتفق مع روح الحضارة الغربية ومع المراحل التي اخذت تمر بها بنتيجة هذا الانقلاب الجديد الذي عاناه الغرب ، فبرزت الى الوجود مجتمعات انهكها الصراع الطبقي فآمنت بهذه القدرية التي لا مفر منها والتي هي محور التاريخ ، واستسلمت الى هذا الواقع الذي اعتقدت انه يفرض عليها نفسه فلا بد منه فآمنت بعوامل اقتصادية اعتقدت انها تسيطر على العالم وتخط للتاريخ طريقه الذي سار عليه ولا يمكن ان يحيد عنه في مستقبل آت سعيد لا شك فيه يتحقق فيه اخاء جديد وانسانية جديدة ، هما اخاء مادي وانسانية مادية وهما جوهر الحرية التي تنتفي بزوالها ، وتوحد الحاجة اليهما بين الاكثرية المطلقة التي تحطم كل حاجز فيما بينها لتجتمع على صعيد واحد تندفع منه الى اجابة نداء التاريخ الذي يدفعها نحو الثورة لتحقق هذه الانسانية المادية مستهينة بكل شيء .

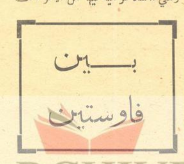
ولقد قامت الى جانب هذه المجتمعات مجتمعات اخرى آمنت بالصراع وبتنازع الاحياء للبقاء فاعتقدت بتفوق الاجناس وبأن لكل امة طاقة مختلفة عن غيرها لا تتغير في زيادة او نقص فالامم اذن مراتب ودرجات مختلفة .

وقام الى جانب كل هذا ذلك المجتمع الذي انبثق مباشرة في انطلاقته عن الانقلاب الصناعي الا وهو المجتمع الرأسمالي الذي يقر عدم المساواة الطبيعي ويعترف بوجوده ويترك ميدان السعي حراً امام الفرد . ولقد عكف الغرب على نفسه يتصارع فيما بينه ، ولقد سهلت له الآلة هذا الصراع وزادت في وسيلته ، ولقد فرض صراعه هذا على العرب كما فرض عليهم مبادئه واساليبه ونظمه في الحياة فما هو موقف العرب بعد كل هذا ؟

ما هي حلولهم لمشاكل امتهم وللمشاكل التي يفرضها عليهم الغرب وما هو السبيل الصحيح الذي يجب ان تخطو الامة العربية فيه خطواتها الجبارة لتصل مباشرة الى اهدافها في الحياة ؟

كل هذه اشارات استفهام كبيرة عميقة لا يسع المرء الا ان يقف امامها مفكراً فالمفترق خطير واي خطأ يؤدي الى كارثة ، وانا لنستطيع ان نقول ان الجيل العربي الجديد يكون قد خطا خطوات حاسمة اذا استطاع ان يرسم اشارات الاستفهام هذه ، وستحقق الامة العربية نهضتها عندما يعرف الجيل بأكمله الجواب على هذه الاشارات .

دمشق — جلال فاروق الشريف



بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمي

من الآثار الادبية التي حيرت افكار الادباء إن في الغرب او الشرق فاوست « غوته » ذلك الاثر الخالد الذي يعد آية من آيات الادب في القرن الثامن عشر . ويقع هذا المؤلف في جزئين قام الاديب المصري عوض محمد عوض بترجمته الى العربية ، ولا اريد ان ابين الى اي حد كان موفقاً في ترجمته ، فقد سبق واعطينا كلمتنا يومذاك في الصحف الالمانية ولا نرى ما يحمل على العودة الى حديثها ثانية ، ولكن مع ذلك يجدر بنا ان نشير الى اديب مجهول يتعاطى مهنة الطب وفق الى ترجمة بعض نصوص من الادب الالماني على زعمي باكثر مما وفق اليه عوض محمد عوض ، ولو قام بترجمة فاوست الاول كله لوجد دون شك قبولا عظيماً بين قراء العربية . وتأكيداً لما اقول اجدني منساقاً الى وضع ترجمته لنزهة عيد الفصح من فاوست مثل شاهد ونموذج :

نظر الربيع الى الجليد فذابـا
ومشى يبشر بالربيع هضابـا
وكذا الشتاء الشيخ سار بجيشه
نحو الجبـال ليطمئن مآبـا
الشمس تأنف ان ترى من غيرها
نورا لذلك كل ثلج ذابـا
ارجع بطرفك من مكانك ناظرا
نحو المدينة منظرا خلابـا
تتزاحم الاقدام في ابوابها الظلـ
ـماء ترغب ان تجوز البابـا
ومن المدينة قضها وقضيضهـا
بعثوا يجيون الضيا اسرابـا
انظر الى تلك الجموع تسنمت
بين المروج وفي الحقول شعابـا
ومن القرى اني لاسمع ضجة
يبدو بها فرح القرى جذابـا
انا ها هنا (انسان) في امنيتي
وهنا احب اقامتي احقابـا

ان هذا الاديب الذي اعنيه هو الدكتور محمد ابا غنيمة ، الذي بدأ بترجمة نصوص ادبية عديدة ثم توقف فجأة دون ان يكمل ما بداه .

اما فاوست الثاني فلم يجسر احد حتى اليوم على ترجمته الى اللغة العربية ، حتى ليمكنني ان اقول ان ترجمته الى اللغات الاجنبية نفسها غير واضحة ومشوهة لصعوبة مواضعها ، لان الشاعر نفسه استغرق في نظمها مدة ستين سنة . فاذا كان فاوست الاول عبارة عن مأساة انسانية بسيطة الا وهي مأساة غرامية فيها من الاغواء ما فيها ، ففاوست الثانية هي مأساة عميقة تمس اعمق شيء في حياة الانسان الا وهو ايمانه وتدعه بين الشك واليقين ، تلك الحرب النفسية الهائلة التي شعر بوجودها كل من اراد ان يبحث عن قيمة لا تتزلزل في النفس البشرية ، وقد تزداد هذه المأساة تعقداً كلما ازداد الانسان تقدماً في المعارف واكتشاف اسرار الكون ، ويصور لنا غوته الباحث عن الحقيقة الكونية بانسان مثقل بالهموم والآلام ويعبر عن ذلك في القطعة التي استهل بها اثره الخالد :

ارييل ملك الهواء يخاطب الارواح الهائمة :
اذا همى قطر الربيع مهتزا فوق الازاهر
اذا كانت الحقول باخضرارها المبارك
تجلو قلب كل مولود على الارض
فارواح صغار وكبار تتطاير في الفضاء الواسع
مسرعة لاغاثة الملهوف انى وجدته ،
وسواء أكانت مقدسة ام خبيثة ،
فانها تتألم للرجل التعيس ،
فيا ايتها الارواح الخفية التي تدور في الهواء
حول ذلك الرأس المثقل بالهموم ،
ارينا ما جبلت عليه من كرم ،
خففي ذلك الكفاح القلبي الهائل ،
ابعدي عن تلك النفس السهام الاليمة ،
طهريها من تلك المشاهد الحزينة ،
اغتنمي اربع فرص في سكون الليل الهادىء ،
قومي على تحقيقها بصدق وامان :
ضعي ذلك الرأس بين الوسائد الناعمة ،
ثم اغسليه بقطر الندى عند مجرى الازهار
هناك تتحرك الاعضاء التي دب فيها الجمود ،
ولا سيما اذا استراحت الليل كله وواصلت
راحة الليل بالنهار .
ادي ايتها الارواح اجمل الواجبات
ردي الى ذلك المسكين نور الحياة ! !

ولا يمشي غوته في بحثه عن الحقيقة طبقاً للاساليب العلمية المعروفة ، بل يحلق في سماء الله الواسعة حراً طليقاً غير مقيد بنظام ولا بقيود عرفها فهو ينتقد العلماء بقوله :

« وبذلك اعرف السادة العلماء ،
ان الشيء الذي لا يلمسونه يبعد عنهم اميالا ،
والذي لا يفهمونه يغيب عنهم تماماً ،
وما لا يستطيعون حسابه يزعمون انه غير موجود ،
وما لا يدخل في ميزانهم يظنونه لا وزن له ،
والعملة التي لم يسكوها يخالون انها لا تروج »

وبهذا المبدأ يريد ان يحرر الفكر البشري ويبعده عن الجمود ليساعد بذلك على الخلق والابداع ، ولا يكتفي غوته في فاوسته بسبر غور اسرار الكون فحسب ، بل يضع فكرة جديدة كانت اساساً لحضارة ، نسميها — على رأي اشبنجلر صاحب كتاب سقوط الغرب الشهير — بالحضارة الفاوستية ويقصد بتلك الحضارة تلك التي لا يقف فيها الانسان امام الحوادث وقفة لا يملك معها حولا ولا قوة بل يكون فعالا في الحوادث فيبدل ، بذلك غوته

آية الكتاب المقدس في البدء كانت الكلمة بآية جديدة « في البدء كان العمل » ولا يستحي من ان يتطرق الى فكرة هائلة قد اقامت العلماء من قبل واقعدتهم وهي تكوين ذوي حياة في المختبر ، ففي فنه الساحر يقوم ويكون الانسان ضمن معوجته ولكنه ينتهي الى نتيجة هائلة وهي ان الطبيعة تكون مخلوقاتها في الخلاء والانسان يكون مخلوقاته في حجم ضيق . ومع ذلك فهو لا يريد ان يكون الانسان مكتوف الايدي وفي زعمي ان هذه الفلسفة الجديدة التي وضعها «غوته» وهي فلسفة العمل ، والقضاء على التأمل السلبي والولوج في القضايا بالفعالية هي اساس نهضة الغرب الحاضرة التي يسميها اشبنجلر بحق الحضارة الفاوستية كما يسمي الحضارة العربية بالحضارة السحرية ، والحضارة الاغريقية بالحضارة الابولونيه نسبة الى ابولو إله الجمال ، وترتكز فلسفة الاغريق القديمة على هذا التأمل السلبي .

واليوم يفاجئنا الاديب محمد روحي فيصل بوجود فاوست جديد للاديب الإفرنسي بول فاليري وفي رأيه ان هذا الاثر الجديد الذي ظهر للعالم صيف ١٩٤٠ يضاهي فاوست غوته [1] ، ويعتقد ان سبب التفوق تماسك الاجزاء وحداثة الموضوع الذي اتى به فاليري ، ورغم اني لست مطلعاً على هذا الفاوست الجديد يمكن ان نقول لشتان بينهما اولاً لان بطل فاوست عند غوته لا يتقيد بأمة او شعب خاص ، اما عند فاليري كما يصفه لنا فيصل فانه الامبراطور نابليون بونابرت المتوج ، او ان الامبراطور هو فاوست المتوج ... ولا يخفى ان في ذلك ضيقاً شديداً للفكرة التي اتى بها غوته .

(١) الاديب تموز ١٩٤٦ .

لعل فاوست فاليري اكثر انسجاماً من فاوست غوته اذا شايعنا الاديب فيصل على ما يرى ، ولكن مشكلة الحياة ومشكلة المعرفة التي تناولها غوته هي ابسط بكثير من التي تناولها فاليري فهي لا تتجاوز من المشكلة اكثر من بين معلم وتلميذه وثقة التلميذ بالمعلم ، وشك المعلم في نفسه ، ولكن ذلك الجبروت وتلك الارادة التي لا تنثني في اكتشاف اسرار الكون والاشتراك في الحوادث بالفعالية العملية فذلك موضوع لم يطرقه فاليري على زعمي اذا لم اقل انه لم يفهمه على جليته ، فغوته لا يريد ان يكون الانسان فعالا فحسب ، بل يود ان يقهر القدر ويكون حداد حظه ونجاحه ، ومع كل ذلك ومع كل هذا الجبروت بالفكر الذي يود ان يقتحم به يظل متواضعاً نحو القوى الطبيعية المجهولة في الكون ، الطبيعة تجري حوادثها في الفضاء الواسع ، والانسان يقوم بتجاربه في المختبر في المحيط الضيق وشتان بين هذا وذاك .

ان التفكك او بالاحرى التضارب ظاهر في فاوست غوته وخاصة في الجزء الثاني منه ، وكيف لا يكون هذا التفكك وهذا الاثر هو ثمرة نصف قرن وعشر سنين واذا رأينا فيه من تضارب فما هو بناجم الا من تضارب الحياة نفسها فهو اذن ابن الحياة وان كان غامضاً غير واضح . والشيء الذي يمتاز فيه فاوست الثاني بالرغبة الشديدة في النظر والمشاهدة والاطلاع الكافي على العالم ظاهره وباطنه ، الشيء الذي لم يوضحه لنا الاستاذ فيصل في فاوست فاليري . هذه الرغبة القوية التي تفتح العين على كل ما يجري هو رائد فاوست في جميع افكاره . وهكذا يصعد فاوست على الابراج ويغني :

للنظر خلقت ، للمشاهدة وجدت
اقسمت للابراج بحبي للعالم
انظر الى الابعاد الى ما هو قريب
الى القمر والنجوم
الى الغابات والغزلان
وهكذا ارى دوماً
الزينة الخالدة
وكما تعجبني اعجبها
انت ايتها العيون السعيدة
انت وما تنظرين
فليضمر لنا المستقبل ما يشاء
فلقد كانت المتعة لذيذة

ولا يقصد بالمتعة ما كان يتصور منها الاغريقي القديم ، في التمتع بالجمال السلبي كما بينا ، بل يعد كل ما يراه وكل ما يشاهده متعة وان اورثت آلاماً ، ايلزم اذن ان نفتح اعيننا للكون ، وبهذا خدم غوته الفلسفة الطبيعية الاوروبية التي اذكى نارها كل من بيكون ونيوتن وغيرهما . فهو يقيم هذه الفلسفة على اساس ادبي فني يتغلغل الى خفايا الروح .

وفي الحقيقة اننا لا يمكننا ان نعمل مقارنة حقة الا بعد ان يكون اثر بول فاليري في متناول اليد يمكن ان يقتنيه كل احد مع عرفاننا الجيد بمدلول افكاره ، ولكن هذا غير متيسر فالمقارنة اذن لا تزال ناقصة .

بيد اننا مما قرأناه في مقال الاديب فيصل نستدل على ان هناك فرقاً كبيراً بين الفاوستين ففاوست غوته ابن الحضارة الغربية الجبارة التي تريد ان تبدع بالفعالية العملية ، وفاوست فاليري تكتفي بانتقاد المعرفة وامكانياتها ، ونحن نشك في قدرتها على احداث ذلك الانقلاب الذي احدثته الاولى ندلي برأينا هذا بكل تحفظ علنا نجد في المستقبل القريب ما يلقي ضوءاً على الموضوع ويعطينا فكرة جديدة عن هذا الاثر الجديد .

حلب — محمد يحيى الهاشمي

نشوة

☆

سيدة ملك عبد العزيز

☆

القاهرة

تعالي نشوة الدنيا ... وهاتي الشعر من سحرك
تعالي نشوة الدنيا ... وروّي النفس من نهرك
وشمّي النور من عينيك والاسعاد من ثغرك
وهاتي اللحن خفاقا ... كخفق الحسن في صدرك
وهاتي الخفق دفاقا ... كدفق الموج في بحرك .
تعالي نشوة الدنيا ... وهاتي الشعر من سحرك !

*

تعالي نشوة الدنيا ... وهاتي الخمر مسحورا
فيغدو مهجة ظمأى ... ويبعث في الدجى حورا
فعطر البرتقال سرى ... ينادي الحب والنورا
يجيل الكون سكرانا ... فينهل منه مأسورا ،
وذاب البدر في انفاس ذاك العطر مبهورا
ومازج نوره الساجي ... نشيد الطير مسرورا .

*

تعالي هيئي الاعشا ... ش في فنيان اشجارك
وهاتي الظل للمحرو ... م والمكدور من نارك
وهاتي الروح والسلوا ... ن في معسول اسمارك
تعالي والهمي الكروا ... ن من علوي اشعارك
تعالي ابدعي الالوا ... ن في رفاف اسحارك .
وبثي العطر في الآفا ... ق من نشوان ازهارك .

*

تعالي فالربيع اتى ... ونادي النفس والقلبا
وألقي السحر في الاجوا ... ء والتحنان والحبا
فاحلام الصبا فاحت ... وخفق الغاب قد لبى
وهام القلب مفتونا ... يغذي عوده الرطبا
فلحن الصفو قد غنى ... وفيض الحسن قد عبا
وصاح يبادل النجوى ... نسيم الروض اذ هبا

*

تعالي فالربيع أتى ... وندى الكون افراحا
وبات الغاب[1] وسط الحقل كالعصفور صداحا
تجاوب من حناياه ... نسيم شاع فواحا
فرنح عوده الممشو ... ق حتى اهتز مرتاحا
وناغم منه فنانا ... فصاغ اللحن وضاحا
يشق الليل نحو القلب افعمه الهوى راحا

---

(١) الغاب هنا هو شجر البوص الذي تصنع منه المزامير في الريف، ولحفيف اوراقه الخشنة صوت مسموع .

تنسيق العلوم عند العرب والمسلمين

تنسيق العلوم والكتب عند المفهرسين من العرب والمسلمين وفاقاً لتنسيقات فلاسفتهم

☆

بقلم يوسف اسعد داغر
امين دار الكتب اللبنانية

☆

المراد بتنسيق العلوم، ما دونه الفلاسفة تحقيقاً للاشياء على ما هي، وكيفية العمل وفقها. وعلماء العرب لم يقتصروا على وضع فهارس باسماء الكتب العربية من مطبوع ومخطوط في الشرق والغرب، بل اعتمدوا ايضاً على التقسيمات التي وضعها الفلاسفة العرب في موضوعات العلوم. وهي التي اقتبسوها عن طريق النقل والترجمة من لغة اليونان وآدابهم او التي نشط بعضهم الي استنباطها فيما بعد لتقسيم العلوم وتطبيقها على تنسيق الكتب.

ومما لا ريب فيه ان هؤلاء المفهرسين ادخلوا على التقسيمات المشار اليها بعض التعديلات وفقاً لمقتضيات العلوم العربية الاصلية والاسلامية، وهي تلك التقسيمات التي شارك في وضعها الفارابي[1] ٣٣٩ه وابن سينا ٤٢٨ — ١٠٣٧[2]، وابن الهيثم ٤٣٠[3] واخوان الصفا في اواسط القرن الرابع للهجرة[4] والغزالي ٤٥١—٥٠٥[5] وابن خلدون، ٧٣٢—٨٠٨[6].

اما المفهرسون العرب والمسلمون الذين عنوا بتطبيق التقسيمات التي وضعها الفلاسفة اليونان قديماً وفلاسفة العرب، فعددهم كثير لا يأخذه الحصر. واننا نثبت فيما يلي اشهر هؤلاء المفهرسين مراعين تعاقبهم التاريخي ومدى تأثير المتقدمين منهم على المتأخرين.

ابن النديم ـ ٣٧٧ هـ

مشهور بفهرسته او «فهرس العلوم». وهو فهرس كتب العلوم القديمة وتصانيف اليونان والفرس والهند الموجود منها بلغة العرب وقلمها. وسيأتي البحث عنه مطولا في ختام هذا الفصل.

الخوارزمي ـ ٣٧٧ هـ

هو الامـام ابو عبدالله محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي. له كتاب «مفاتيح العلوم وقد جعله موسوعة عـامة كمدخـل للعلوم والفنون، جـامع لآدابها وتعاريفهـا وحدودهـا وللمصطلحات العلمية وغير ذلك من الفوائد. ويقسم الكتاب المذكور الى مقالتين: الاولى تجتمـع في ستة ابواب، وهي: ١ — الفقه، ٢ — الكلام، ٣ — النحو، ٤ — الكتابة، ٥ — الشعر والعروض، ٦ ـ الاخبار.

اما المقالة الثانية فتتكسر الى ٩ ابواب هي: ١ — الفلسفة، ٢ — المنطق، ٣ — الطب، ٤ — علم العدد، ٥ — الهندسـة، ٦ — النجوم، ٧ — الموسيقى، ٨ — الحيال، ٩ ـ الكيمياء.

---

(١) ترى ذلك في المجموعة الموسومة: مبادىء الفلسفة القديمة، وهي مجموعة تضم: ١ — كتاب ما ينبغي ان يقدم قبل تعلم فلسفة ارسطو. ٢ — كتاب عيون المسائل في المنطق ومبادىء الفلسفه ط. المؤيد، ١٣٢٨ و ١٩١٠.

(٢) في كتابه: «عيون الحكمة». وفيه رسائـل في الحكمة والطبيعيات والرسالة الخامسة منها في اقسام العلوم العقلية او تقاسيم الحكمة والعلوم.

(٣) نحج في ذلك نحج ارسطو. (٤) لهم تقاسيم للعلوم الفلسفية في بدء الرسالة الاولى: «الرياضيات» وعرضوا الابحاث في رسائلهم حسب هذا التقسيم وهو على اربعة اقسام ١ — الرياضيات ٢ — المنطقيـات ٣ — الطبيعيات ٤ — الالهيات. ولكل من هذه الاقسام اصول وفروع.

(٥) في كتابه «احياء علوم الدين» وهو كتاب في علم الكـلام والاداب مقسم الى اربعة اقسام: الاول في الشعائر والاحتفالات الدينية والثاني في القوانين الخاصة باحوال الحياة الدنيوية، والثالث فيما يهلك، والرابع فيما ينقذ، اي في الرذائـل والفضائـل — وبين مؤلفات الغزالي كتابان جديران بالذكر: مقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة. اما كتاب المقاصد فهو تلخيص للعلوم الفلسفية، شرح فيهمـا المؤلف علم المنطق وما وراء الطبيعة والطبيعيات، ولم يبتعد في شرحـه عن مبادىء ارسطو التي شرحها الفارابي وابن سينا.

(٦) ذكر في مقدمته ترتيبا للعلوم على الوجه التالي: القسم الاول: العلوم الدينية والنقلية. القسم الثاني: العلوم الفلسفية والطبيعية. القسم الثالث: الصرف والنحو والادب. القسم الرابع: المنطق.

وقد نشره المستشرق الهولندي فان فلوتن – ١٩٠٧ وطبع في لندن سنة ١٨٩٥ في ٧+٣٢٨ ص .

الميدانى – ٥١٨ هـ

هو ابو الفضل احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم الميداني النيسابوري ، صاحب كتاب « السامي في الاسامي » رتبه على اربعة اقسام : ١ – في الشرعيات وما يناسبها ، ٢ – في الحيوانات وما يضاف اليها ، ٣ – في العلويات ، ٤ – في السفليات (علم اللغة) ، طبع منه ثلاث رسائل ، الاولى : سر الادب للثعالبي . الثانية : فروق اللغات لنور الدين الجزائري . الثالثة : « بانت سعاد » للطف علي بن احمد التبريزي وبهامشها مقصورة ابن دريد في العجم ، سنة ١٢٩٤ في ١٩٦ ص .

الخوارزمي ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر – ٥٥٥ – ٦٢٦ هـ

هو ابو يعقوب سراج الدين الملقب بـ السكاكي . له « كتاب مفتاح العلوم » . قسمه الى ثلاثة اقسام : الاول : في علم الصرف ، والثاني : في علم النحو ، والثالث : في علم المعاني والبيان والبديع ، ثم ختمه بما يكمل به علم البيان وهو تتبع خواص تركيب الكلام في الاستدلال ، وقد حصل لهذا الكتاب شهرة لم يناظره فيها كتاب آخر مدة قرن ونصف . وقد اعتنى العلماء به شرحاً وتلخيصاً . وكان الذين اعتنوا بتلخيصه اكثر من عدد الذين شرحوه ، واشهر ملخصاته : « تلخيص المفتاح » للشيخ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، المعروف بخطيب دمشق (٦٦٦ – ٧٣٩) ، لخصه من القسم الثالث ورتبه ترتيباً اقرب تناولاً ، واضاف الى ذلك قواعد من عنده ، وقد اوضحه في تلخيص ، اسماه : « الايضاح في علم البلاغة » .

الرازي – ١٢٠٩ م

له « حدائق الانوار في حقائق الاسرار » اورد فيه موضوعات ستين علماً ، الفه للسلطان علاء الدين تكش الخوارزمي

النويري شهاب الدين – ٦٧٧ – ٧٣٣

هو شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري المشهور بموسوعته الموسومة « نهاية الارب في فنون الادب » ، وهو كتاب في ٣٠ مجلداً رتبه على خمسة فنون . ١ – في السماء والآثار العلوية والارض والعالم السفلي ويشتمل على خمسة اقسام . ٢ – الانسان وما يتعلق به يشتمل على خمسة اقسام . ٣ – الحيوان الصامت ويشتمل على خمسة ايضا . ٤ – في النبات ويشتمل على اربعة اقسام ، وذيله بقسم خامس في انواع الطب . ٥ – في التاريخ ويشتمل على خمسة اقسام ايضا . وقد اخذت دار الكتب المصرية تتحف العالم بطبعة رائعة مشرقة منه يتوفر على خدمتها لفيف من اعلام الادب في مصر . وقد ظهر من هذه الطبعة المشرقة عشرة اجزاء .

الجرجاني ابو الحسن – ٧٤٠ – ٨١٦ هـ

هو علي بن محمد بن علي السيد الزين ابو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي ويعرف بالسيد الشريف . اشتهر بكتابه « التعريفات » رتبه على حروف الهجاء . والمراد « بالتعريفات » الالفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء ، والفرضيين والمحدثين والمتكلمين والنحاة واللغويين والمفسرين وغيرهم . طبع مراراً : منها باعتناء المستشرق فلوغل ، وبآخره فهرست وملحوظات ، وزسالة في بيان اصطلاحات محيي الدين بن العربي الواردة في الفتوحات ، ليبسك ، سنة ١٨٤٥ ، في ٣٣٦+٣٨ صفحة .

ابن الاكفاني – شمس الدين محمد بن ابراهيم

هو شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابراهيم الانصاري المعروف بابن الاكفاني . له : « ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد » ، مختصر ، ذكر فيه انواع العلوم واصنافها وما صنف في كل نوع ، وهو مأخذ مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ، طبع مراراً .

المقدسي – ٨٥٦

ومن هذه التقاسيم ما ذكره الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن المقدسي المتوفي سنة ٨٥٦ للهجرة ، وذلك في كتابه « شفاء المتألم في آداب المعلم » فالعلوم تقسم عنده الى قسمين ، على الوجه التالي : الاول – العلوم الحكمية ، منها الحكمة النظرية والحكمة العملية . فالحكمة النظرية تشمل : العلم الاعلى الالهي والعلم الادنى الطبيعي والعلم الاوسط الرياضي . اما الثاني فيشتمل على علم المنطق وعلم الادب وعلم اللغة والصرف والنحو وعلم البلاغة وعلم الفصاحة وعلم البديع وعلم البيان .

البستاني – ٨٥٨

هو الشيخ الامام عبد الرحمن بن محمد بن علي الحنفي البستاني . الف كتاباً عنوانه « مناهج التوسل في مباهج الترسل » ، ذكر في

فواتحه مقدار مائة علم ، آتيا على تفصيل العلوم الشرعية والعربية .

جلال الدين الدواني ـ ٨٣٠ ـ ٩٠٨

هو المولى جلال الدين محمد بن اسعد الصديقي الشافعي الدواني ، توفي سنة ٩٠٨ والف كتابا اورد فيه عشرة من العلوم وسماه « انموذج العلوم » ، وهو مختصر جمعه للسلطان محمود ، يحتوي على مسائل من كل علم .

التوقاني ـ ٩٠٠

هو لطف الله لطفي بن حسن التوقاني المتوفي سنة ٩٠٠ . الف للسلطان بايزيد كتابا بعنوان « موضوعات العلوم » جمع فيه نبذاً من العلوم ، وهو مختصر ، ثم شرحه وسماه « المطالب الالهية » .

الحفيد ـ ٩٠٦

ومن تقاسيم العلوم ما ذكره العلامة احمد بن يحيى الهروي الشافعي المعروف بالحفيد ، في مجموعته التي اطلق عليها الناشر : امين افندي الخانجي (مصر) اسم « الدر النضيد في مجموعة الحفيد » . وهو يقسم العلوم المدونة الى نوعين : العلوم المتشرعة ، وتتضمن ما دوّنه المتشرعة من علوم القرآن والفنون الادبية التي تعمل على استخراج معاني الكتاب والسنة ، والثاني علوم الفلاسفة ، وهو يتضمن ما دونه الفلاسفة لتحقيق الاشياء كما هي وكيفية العمل على وفق عقولهم .

السيوطي ـ ٨٤٩ ـ ٩١١

له في هذا الموضوع « اتمام الدراية لقراء النقاية » ، وهو شرح على « النقاية » ، له ايضا . ضمّنه خلاصة اربعة عشر علما ، طبع في الهند ، ١٢٠٩ في ٢٣٢ ص كما طبع في فاس في ١٤٤ ص كما طبع بهامش « مفتاح العلوم » للسكاكي ، مصر ١٣١٧ .

ابن كمال باشا ـ ٩٤٠

وللمولى قيس شمس الدين احمد بن سليمان الشهير بابن كمال الدين باشا ، المتوفى سنة ٩٤٠ ، رسالة « العلم وماهيته » وله مؤلفات تزيد على مائة وخمسة وعشرين كتابا ، وقلما يوجد فن الا وله فيه مصنف .

الشيرازي صدر الدين محمد ـ ١٠٥٠

له رسالة في « ماهية العلم واقسامه ومشتقاته » وهي على ستة ابواب .

الشبيبة !

☆

دفقةٌ انتِ في خضم الوجودِ
تقحم الموت في سبيل الخلود
روحها منهل الجهاد وعزمٌ . . .
وطموح . . . ونزعة التجديد
يحمل العدل كفها . . . وبكف
ترفع الظلم عن رقاب العبيد . . .

*

موجة انتِ من طموحٍ وفيض
من لهيبٍ وبسمة من ورود . .
وشعاع من جنة ووميض . . .
من بروق . . وثورة من رعود . .
تتمشى على الحراب سكارى !
وعلى ثغرها ابتسام الاسود
تسكب الروح بالدماء ، وتشدو
في عراك الردى نشيد الشهيد

*

انت حلم على جبين المعالي ! . .
عبقري الخيال عبر الحدود . . .
فأدفقي يا شبيبة العصر نوراً . . .
يغمر العقل في زمان شريد . . .
عطري الروح بالمحبة وامشي !
في بروج الرقي والتخليد ! ! .

بيت شباب — خليل رشيد الفاخوري

الشرواني † ١٠٣٦

وجمع المولى احمد امين بن صدر الدين الشرواني ، المتوفي سنة ١٠٣٦ ، كتابا للسلطان احمد العثماني اورد فيه ثلاثة وخمسين علما من انواع العلوم العقلية والنقلية ، وسماه «الفوائد الخاقانية الاحمدخانية» ورتبه على مقدمة وميمنة وميسرة وساقة وقلب ، على نحو ترتيب جيش السلطان . المقدمة في ماهية العلم وتقسيمه ، والقلب في العلوم الشرعية . والميمنة في العلوم الادبية ، والميسرة في العلوم العقلية . وقد اورد منها ثلاثين علماً ، والساقة في علم آداب الملوك ، وانما اقتصر على ذلك العدد ليكون موافقا لعدد احمد على حساب الابجدية .

والعلوم في نظره تقسم الى قسمين مشهورين احدهما يتضمن العلوم النظرية والعلوم العملية ، وثانيهما العلوم غير الآلية والعلوم الآلية . ومرجع معنى النظري الى غير الآلي ، ومعنى العملي الى الآلي ، فهما في الاصل شيء واحد .

ابو البقاء الكفوي الحنفي † ١٠٩٥

ولابي البقاء الحسيني الكفوي الحنفي كتاب : « كليات ابي البقاء » او « كليات العلوم » ، وفي فهرست زنكر : « كتاب ابي البقاء في جميع العلوم على وفق اللغة في بيان فنون شتى » رتبها على حروف المعجم ، وضمنها ما في مؤلفات العلماء في الفنون المختلفة من القواعد والاصطلاحات ، وختمها بفصل في الكليات المتفرقات — طبع في بولاق ، ١٢٥٣ : ٣٠ ، وفي طهران ، سنة ١٢٨٦ : ٣٨٩ ص وفي الاستانة سنة ١٢٨٧ : ٧٨١ .

الحسيني ١٢٤٨ ـ ١٣٠٧

ولابي الطيب محمد بن علي بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني كتاب « ابجدية العلوم » وهو على ثلاثة اقسام . الاول : في الوشي المرقوم في بيان احوال العلوم من حيث الفلسفة والتوحيد واللغة والتاريخ . والثاني : في السحاب المرقوم المسطر بانواع الفنون واصناف العلوم . الثالث : الرحيق المختوم من تراجم ائمة العلوم . وهو كتاب مفيد جداً جمعه مؤلفه سنة ١٢٩٠ في ٣ اجزاء ، طبع في بهوبال (الهند) في ٩٧٠ ص .

الاسترابادي

له « مدائن العلوم » به عشرة علوم ، وهذا المؤلف من ابناء القرن الرابع عشر هجري .

احمد زكي باشا ١٣٠٨

له « موسوعات العلوم العربية » ويبحث عن رسائل اخوان الصفا ، كما يشتمل على طرف من اسماء المجموعات العلمية العربية وبعض الكتب الواسعة المفردة الموضوع ، وذكر مباحثها وكيفياتها واسماء مؤلفيها ، ولمعاً من تاريخهم ، طبع سنة ١٣٠٨ في ٩٩ ص .

ومن المحدثين الذين عنوا بتصنيف العلوم والمعارف ، صديقنا البحاثة السيد يوسف العش ، محافظ دار الكتب الظاهرية في دمشق ، في الامس ، وسكرتير اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية ، اليوم . فقد وضع بهذا المعنى كتيباً بعنوان « تصنيف العلوم والمعارف ، بشكل فني يسري على مواضيع الكتب العربية متبوع بفهرس ابجدي مفصل لتلك المواضيع ، يهدي الى مواقعها من التصنيف » وقد نشرته مطبعة ابن زيدون ، بدمشق ، سنة ١٩٣٧ في ٧٥ + ١٧ صفحة من القطع الصغير ، بين عربية وفرنسية .

وقد طبق هذا التصنيف نهائيا باقسامه وارقامه في دار الكتب الظاهرية .

ووضعنا بدورنا ، في تصنيف العلوم كتابا ضخماً ، اقتبسنا اقسامه الكبرى من التصنيف الاميركي العشري الذي وضعه المفهرس الاميركي ملفيل ديوي ، في منتصف القرن التاسع عشر ، والجاري العمل به حالياً في اميركا الشمالية وفي كثير من مكتبات اوروبة الشمالية والعربية ، كما تبنته مكتبة الجامعة الاميركية وعملت به دار الكتب اللبنانية في بيروت .

والكتاب راعينا فيه اصول التنسيق العشري وتوسعنا الى اقصى حدود التوسع في تصنيف العلوم العربية والاسلامية ، والموضوعات العلمية التي تتعلق بالشرق عامة وبالعرب خاصة ، ولا سيما في ما له مساس بعلم الدين واللغة والشرقيات الاخرى وعسى ان يوفق العاملون الى التناصر لاخراجه ونشره خدمة للمكتبة العربية التي هي في امس حاجة الى مثلها .

هذه لمحة خاطفة في اهم مشاهير المفهرسين من عرب ومسلمين اتينا على ذكرهم لماماً . واننا نترك للعدد القادم نشر نموذج اكمل لتلك المؤلفات القديمة الموضوعة في تصنيف العلوم وطرائق تقسيمها الا وهو كتاب « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » لطاش كبري زاده . وهو اعظم مؤلف شرقي في تقسيم العلوم لم يعترف لاحد ممن تقدمه بالفضل عليه .

يوسف اسعد داغر

بريطـانيــــا في دنيـا الشعر

بقلم عبد اللطيف شرارة

☆

عندما يدب الوعي في امة ما ، تحاول اول مـا تحاول ، ان تفهم غيرها من الامم ، وان تطلع على التطورات الفكرية التي تجري في اقطار العالم . وتلك اول امارات التقدم الصحيح ، لان « الاعتزال » الروحي امر مغاير لسنة الارتقـاء ، متناف مع الحياة القومية الصحيحة ، فضلاً عن انه لا يـكون ، حين يـكون ، الا متكلفاً ؛ لان الامة في كيان الانسانية جزء من كل ، فهي بذلك كالفرد الذي ينشأ في مجتمع مؤلف من افراد . فاذا اعتزل ، كان اعتزاله مصطنعاً ، اي انه لا يجري به على سجيه انسانية قويمة ، وفي هذا الخروج على السجية الانسانية وحده ؛ عـلائم انحلال في جانب ، واعتراف او رضى بالانحلال في جانب آخر .

ولكن الامة لا تستطيع ان تفهم امة اخرى الا على صعيد من ذاتيتها الخاصة ، بمعنى ان الانكليز في نظر الالمان غير الانكليز في نظر الافرنسيين ، وهم في نظر العرب غيرهم في نظر الاسوجيين ، وهكذا . . . الى ما لا نهاية . فالقاعدة في فهم الامم هي عين القاعدة في فهم الافراد ، وهي « الشخصية » التي تـكون ذاتية في حالة الفرد ، قومية في حالة الامة .

ولقد كان العرب — كما يظهر من سيرتهم — اقدر الشعوب على فهم الشعوب ، وهذه ظاهرة لم يلتفت اليها الباحثون في طبائع الامم (انثر وبولوج) الا نادراً ، ولم يولوها العناية التي تستحقها ، ولا غرو ان يـكون ذلك كذلك ، فان العناية بالعرب وتاريخهم ، قصرت على دراسة نقاط الضعف فيهم ، واستثمار هذه النقاط في كتبهم والغض منهم ، اما نقاط القوة فكانت تـكتم وتحرّف وتحوّل . . .

وتلك الخاصة في الطبيعة العربية تشير اشارة واضحة الى صفاء النفس ورجاحة العقل وبعد النظر ، كما تدل على تمرسهم بالتجارب ورسوخهم في معرفة الحياة الانسانية ، فان الانسان لا يفهم غيره الا اذا كان سائغ الفطرة غنيّ الروح .

لذلك ، كان العرب اول من نشر تراث الاغريق بعد طيه ، واول من هدى الناس الى حكمه الهند ، واول من ابان العبقرية الفارسية وحمل الامم الغربية على اكبارها ، حتى اذا استيقظت اوربا من سباتها اقتفت سبيل العرب ، فرجعت الى تراث اليونان والفرس والهنود .

الا ان الامر التوى بيد العرب من بعد فوقفوا ، وكان ان عزلوا عن مشاركة غيرهم في بناء الحضارة وانصرفوا الى «سياسات» عقيمة لا تسمن ولا تغني من جوع ، فوقف العالم معهم — وهم يحتلون قلب العالم — عند تلك السياسات لا يستقيل من كارثة الا ليقع في كارثه امرّ وادهى ، فالامم لا تفهم فيه انفسها ، ولا تفهم غيرها وسوء التفاهم قائم بينها على قدم وساق ! !

بيد ان العرب اخذوا الآن بالنهوض ، ولكن نهضتهم الناشئة هذه لا تتم الا حين يـكوّنون « فكرتهم » الخـاصة عن حقيقة كل امة من الامم الحديثة ، ليندفعوا من جديد نحو بناء انفسهم واداء رسالتهم .

— ١ —

ولكن اين تـكمن حقيقة الامة؟ وكيف نـكتشفها ؟ — لقد كانت المانيا قبل الحرب الاخيرة تعطي العالم صورة عن نفسها يخيل بها الرائي ان المانيا اقوى الامم وارقاها واعظمها ، فلن تنبت الارض بعدها جيلاً من الناس يضاهيها في القوة والرفعة والعظمة ، حتى خيل للشعوب في دور من الادوار ان لها الغلبة وعلى غيرها الخسران ، فجيشها اقوى الجيوش ، ومعاملها اكبر المعامل ، وجامعاتها احفل الجامعات بالعلماء ، وفلاسفتها اعمق المفكرين ،

وابناؤها يبلغون في اخلاصهم لها حد العبادة ، ونظامها السياسي ادق الانظمة واتقنها ، وما هي الا ان جاءت التجربة فاذا الحقيقة شيء غير الجيش والمعامل والجامعات والفلسفة .

سيقول القائلون : « اذا كانت الحقيقة لا تكمن في هذه الاشياء المحسوسة الواقعية ، فلا يصح ابداً ان نفترض وجودها في غيرها من الاشياء ! ! »

هذا خطأ محض لا مبرر له الا لدى الماديين الذين لا يرتفع نظرهم عن التراب ، فكما ان حقيقة الانسان لا تكمن في كثرة ماله ولا في شدة عضلاته ولا في وفرة خدمه واتباعه ولا في ذرابة لسانه ولا في اناقة لباسه ، بل في شيء مستقر في الروح متحد بها ، فان حقيقة الامة ايضاً لا تكون في الاساطيل والجيوش والاسلحة وكثرة الخطباء والفلاسفة ، وانما هي في «النور» الذي يملأ نفوس ابنائها ويحفزهم الى النضال ويحبب اليهم البطولة ويجعلهم في غنى عن الحياة حين تهزل بهم الحياة ! ثم يوضح لهم السبل التي تشدهم الى بعضهم وتزيد في رفعتهم وتصون كرامتهم ؛ وما من سبيل لمعرفة ذلك النور الا عند الشعراء .

نعم ! عند الشعراء ولو سخر الساخرون وضج المؤرخون ! ودليلنا على صحة ذلك من ابسط الادلة واوضحها ، فما لنا الا ان نتأمل موضوعات الشاعر وان نتحسس الحوادث والشؤون التي ينبع منها الهامه لندرك ان كلامه حديث الروح عن الارواح من غير تعسف ولا مواربة .

الشاعر يحدث القلوب عن القلوب وينقل ما في نفسه الى نفوس الناس ، ويكاد يكون الوحيد الذي يحيا الحياة بعمق وعنف ، بينا اكثر الناس من حوله يعيشون على هامش الوجود ، لا يتأثرون بأتراحه ولا يتعرفون الى افراحه . والشاعر يعبر بحساسته العاطفية عن اعمق ما يرسب في امته من حب وبطولة واريحية كما يصور ما تمر به من شكوك واحقاد ومخاوف وعقائد في كل جيل من اجيالها وكل طور من اطوارها .

اذكر اني نقلت معنى هذا البيت من الشعر لاحد الاساتذة الافرنسيين وهو :

واني لمن قوم كأن نفوسهم بها انف ان تسكن اللحم والعظما

وكنا نخوض في حديث « المفاخر » عند الشعوب ، فقال : « لو اطلعت على هذا البيت ، ولم اعرف جنسية قائله ، لذهب بي الحدس الى انه عربي ، فان بيتاً كهذا لا يقوله الا عربي » !

تتبع الآن اقوال الشعراء وحالاتهم عند اي امة شئت ، وانظر اليهم كيف يعالجون الحياة وكيف يصفون تأثراتهم بها ومواقفهم منها ، ومواقفها منهم . ينتهي بك التتبع الى تحصيل « صورة روحية » ناطقة عن امتهم ، وعبثاً تحاول ان تحصل على تلك الصورة عن غير هذي الطريق .

وانما كان الشعر الطريق الاوحد الذي يوصلنا الى «فهم» غيرنا من الامم لانه اطار يحيط بتاريخ الامة من جميع اطرافه ، وتتجمع به حياة الامة في جميع اقطارها ، فلا ينفلت منه شيء ، وكيف يفلت شيئاً ، وهو يقيد حتى نبضات القلوب وهمسات الضمائر وخطرات الانفاس ؟ !

— ٢ —

والامة البريطانية واحدة من تلك الامم التي بلغت الذروة من التأثير على سير التاريخ الحديث ، واجترحت العجائب في عالم السياسة ، فكانت وما برحت موضع الدرس والبحث من انصارها واخصامها على السواء ، وقليلون الذين وفقوا الى فهمها حق الفهم ، وهي لا تزال الى يومك هذا لغزاً غامضاً في نظر الكثيرين من مفكري العالم واقطابه وقادته ، يذهبون في امرها كل مذهب ، وتتردد احكامهم عليها بين يمين وشمال ، ولكن اكبارها كقوة تحرك الحوادث التاريخية وتؤثر في توجيهها ، والاعجاب بها كأمة خدمت الحضارة الانسانية ومثلت صورتها الحية ، معنى يستوي في التعبير عنه القريب والبعيد ، والعدو والصديق ، حتى ان الشاعر الانكليزي « روبرت برنز » كان يدعو الله ان يلهم الانكليز النظر الى انفسهم بالعين التي ينظرهم بها الغير !

والامة البريطانية ايضاً اكثر الامم الحديثة احتكاكاً بالعرب في المرحلة الراهنة من التاريخ ، وانه لمن الغرابة بمكان ان يقتصر هذا الاحتكاك على الناحية السياسية ، او ينحصر القسم الاكبر منه فيها ، فلا يحاول العرب ان يتعرفوا الى « روحية » هذه الامة تعرفاً صحيحاً ، يستطيعون من ورائه ان يرسموا لعلاقاتهم معها نهجاً دقيقاً ومثمراً معاً ، يفيدهم في نضالهم من اجل الحرية ، ويعينهم على اداء قسطهم في خدمة الانسانية ورفع مستواها .

وقد يعجب القارىء اذ اقررت هنا ان الانكليز شعب « روحي » من الطراز الاول ! ولا بدع ان يعجب ، وهو يشهد تمسكهم الشديد بمستعمراتهم ، ويعرف نضالهم الدامي في سبيل السيطرة على طرق المواصلات العالمية وجهادهم المتواصل للحصول على حرية التجارة ضناً منهم بمركزهم الاقتصادي وابقاء عليه ، بل يحق له ان يعجب حين يعلم ان منهم « لوك » اول من نشر الفلسفة

التجريبية ودعا الناس الى اعتناقها ، وان منهم « سبنسر » الذي انكر على العقل قيمته ، وان منهم « ستيوارت ميل » الذي قال بالنفعية ووجه العقول نحوها وجعل منها نظاماً فلسفياً حتى في عالم الاخلاق ، وان منهم « دانيال ديفو » القائل : « عليك ان تبغض من يساعدك في الحياة وان تهمله ، كما ينبغي له ان يكون مزدرى منك محقراً ، وعليه مع ذلك ان يجوع من اجلك ، وينصب نفسه لخدمتك ، ويستمر في بذل معونته لك . وهذا ما انا افعله » . وان منهم « رديارد كبلنغ » القائل : « الشرق شرق ، والغرب غرب . وان يلتقيا » .

لكن هذه الاعراض المريبة والظواهر الغريبة ، ليست غير اعراض وظواهر ، فان وراء الاستعمار والتجارة والمنافع والاحقاد التي يطلع عليها العالم الخارجي — ان وراء ذلك كله ، « معيناً » روحياً خاصاً لا يطلع عليه غير الراسخين في العلم اذ انه ينبع من الداخل ، داخل انكلترا ، ويتدفق سائغاً في حياتها ، ويروي جذورها ، ويتوزع في خلاياها الى ان يذوب في كيانها ، دون ان يحس به الناس احساساً بيناً صريحاً .

ولولا ذلك المعين الروحي العجيب لما استطاعت انكلترا ان تبني كيانها القومي هذا البناء المحكم الدقيق وهي افقر الاقطار على وجه التقريب وابعدها عن موارد الثروة ، ولا استطاعت ان تنشىء هذه الامبراطورية العظيمة المترامية الاطراف ، ولا قدرت ان تصونها وتدفع عنها عوادي الطامعين والحاسدين والناقمين من كل جنس ولون ، بل هي لولاه لكانت الآن جزيرة مهملة كغيرها من الجزر التي لا نسمع بها الا « جغرافياً » فهو الذي حفظها من فيليب الثاني ملك اسبانيا ، وهو الذي اوقف نابليون عند حده واستعلى عليه واخضعه في النهاية ، وهو الذي اعيا اخيراً على هتلر واعوانه .

— ٣ —

وانما تتجلى هذه « الروحية » على ابدع ما تتجلى في شعراء بريطانيا وآثارهم الشعرية ، فان من عجائب الظواهر في تاريخ العالم ان يجتمع لدى الانكليز — وهم الانكليز — اكبر عدد من الشعراء المتفوقين ، حتى ليصعب على الباحث ان يجد لهم انداداً عند سائر الامم المتحضرة من قديمة وحديثة . وفي شكسبير وملتن وشللي وبيرون وكبلنغ وحدهم ما يدمغ الحجة وينهض بالبرهان .

على ان هذه الروح ليست مقتصرة على الشعراء كما قد يبدو للاذهان ، وانما هي قاسم مشترك ينتظم الشعب الانكليزي بجملته ويحمله عفواً على انتهاج طريقة في السلوك الداخلي توصله الى هذه القمة من المدنية التي يحياها اليوم ، ثم يكون من شأنها ان تحلق فيه الشعراء البارعين بين مرحلة واخرى من ادواره التاريخية ، فالشعراء الذين نعرفهم ليسوا غير تعبيرات عن الحياة الشعبية تتفاوت قوة وضعفاً بتفاوت العصور والبيئات والمواقف الاجتماعية العامة .

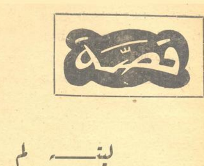
ولقد كان الشعر يؤلف جزءاً هاماً من المشاغل اليومية في حياة القبائل الاولى التي تألف منها الشعب الانكليزي ، حتى كاد يكون الشاغل الاوحد للفلاح والزعيم والجندي ورب الاسرة وسيدة البيت ، فكان يبعث في المحارب روح الاقدام ويستحثه على البطولة ليصبح اسمه علماً بين الاعلام التي يتغنى بها المغنون في المحافل العامة . وكان ابناء القبائل يجتمعون حول شيوخهم في مواسم خاصة يستمعون بها الى الاغاني والاناشيد الحماسية التي ينظمها « القوالون » وهم الشعراء الاول ، وينشدها المطربون واضعاً كل واحد منهم ترسه امام فمه ليزيد في فخامة الصوت وروعته وتأثيره على السامعين ، وتلك من العادات الجرمانية التي انتقلت الى قبائل الانكليز يومئذ !

وذلك هو اتجاه الجماعات الانكليزية في فجر تاريخها ، يقابله اليوم اتجاه آخر ان اختلف عنه في المظهر فانه يلائمه في الجوهر ، وهو حب « التاريخ » والشغف بدراسته والاشتغال بفروعه من آثار وعمارة ونقوش ومخطوطات ، فلا تجد انكليزياً يجهل التاريخ مهما كانت درجة ثقافته ، والذي يجهله منهم تجده يحياه في تفكيره وروحه واعماله ، اي تجده « محافظاً » ، والمحافظ ، عند اخر تحليل هو الذي يحفظ تاريخه ويحافظ عليه ، والانكليزي مهما تجدد ، يظل محافظاً .

و « التاريخ » ، بعد كل حساب ، هو الشعر الحقيقي ، فان الحقيقة ، اذا ترجمت بصحة او عبر عنها بدقة ، اعظم من الخيال » . هذا ما يقوله كارليل ، وهو على صواب في ذلك من ناحية عامة ، وصوابه اجلى واوضح فيما يخص التاريخ الانكليزي وعناية الشعب الانكليزي بالتاريخ ، فان هذا الشعب حين اختفى الشعراء عن مسرح حياته اليومية ، واصبح لا يتصل بهم من قريب ، واضطرته مشاغل المعمل والمخزن والحقل والجندية الى حياة مادية مضطربة ، رجع الى شاعريته في قصص التاريخ وافلام التاريخ وكتب التاريخ ، يستلهم الماضي عبقريته ، ويتأمل حياة اجداده ، ويفرح النفس باستعادة تلك الروح التي مكنته من ناحية الحياة .

اما مصادر تلك الروح ، فسندرسها في العدد المقبل .

صيدا — عبد اللطيف شرارة



بقلم
نهاد قتال

☆

ليتـــــه لم يبصر

☆

كانت الغرفة هادئة ساكنة كأنها القبر ، وكانت الطبيعة تودع اذيال الليل لتستقبل طلائع الصباح ، وكانت الشمس قد بدأت ترسل خيوطاً باهتة واهنة الى الغرفة الهادئة ، فتبعث فيها الحياة ، وتبعث فيهـا الدفء والنور ، وتمكن الناظر اليها من رؤية اربعة اسرة لطفلين ورجل وامرأة .

وقطعت حبل السكون ، اسـلاك السرير وهي تئن تحت جسد الرجل ، فاذا به يتنفس تنفساً عميقـاً ، ثم يفتح عينيه ويغلقهما ، ويعاود ذلك مرات ومرات ، ثم ينهض ويجلس في السرير ناظراً حوله ببله وعجب كأنه يرى ذلك للمرة الاولى في حياته ، واذا به يترك السرير ويسير في الغرفة بخطوات قلقة ، وهو يفرك عينيه ، واذا به يتمتم : « ما هذا ؟ ! » ثم ينتبه الى المرأة النائمة ويحدق فيها ويقول مستغرباً : «ومن هذه ؟» . ثم يحول نظره الى الطفلين اللذين كانا ينعمان بنوم هنيء . ويقـول : «ومن هذان الطفلان ؟ ! » ثم يعاود النظر حوله كأنه يرى الاشياء والاشخاص للمرة الاولى في حياته .

واخذ يفكر في الطفلين النائمين ويقول : « اهما ولداي ؟ ، ربما ، ولكن . . نعم . . نعم هما ولداي ، بشعرهما الاشقر الذهبي ، كخاتمي هذا ، وبشرتها البيضاء ، كقميصي هـذا ، ولكن . . . وهذه المرأة من تكون ؟ . اهي . . . اهي زوجتي ؟ ولكن هذا لا يمكن ، ان زوجتي شقراء كخاتمي هذا - كما قالت والدتي ، وهذه سوداء الشعر ، وزوجتي بيضاء ناصعة ، كما قالت والدتي ، وهذه سمراء قاتمة ، تكاد تشبه الزنوج الذين اتفقت لي رؤيتهم على الشاشة البيضاء في صغري ، غريب ، من تكون اذن ؟ . . الخادم ؟ . . ولكن لمَ تنام الخادم في غرفتي مكان زوجتي ؟ واين زوجتي ؟ . . اريد ان اراها بشعرها الاشقر ، وبشرتها البيضاء ، وعينيهـا الزرقاوين الصافيتين ، لا بد ان هذه هي الخادم . . . وعلى كل . . . »

وقطعت عليه حبل تفكيره ، رؤية المرأة النائمة وهي تتثاءب وتفرك عينيها . . لقد رأى احدى عينيها . . انها سوداء ، فلا بد ان تكون الاخرى كذلك ، لم يبقَ مجال للشك ، انها الخادم ، وتثاءبت المرأة بقبح وبشاعة مرة اخرى ، ونظرت ببلادة ثم نهضت ، فاذا هي طويلة ضخمة تشبه في كثير من الوجوه ، الفيل الذي كان رآه على الشاشة البيضـاء : بوجهها الاسود ، وشفتيها الغليظتين ، وثدييها الكبيرين اللذين يهتزان لكل حركة ، حقاً ان هذه الخادم تشبه الفيل كثيراً ، وكاد يضحك ، ولكنه تمالك نفسه حينما رأى الخادم تتجه نحو الباب وتفتحه وتخرج . . .

ماذا يهمه من امر هذا الخادم ؟ . . . يكفيه انه استعاد بصره . . كيف لا ؟ . وهذه المناظر التي يراها تشبه كثيرا المناظر التي كان يراها قبل عماه . . في العاشرة من عمره . . . ربما ، قد يكون ، الا يجوز ؟ ولكن كيف يجوز ؟ انها الحقيقة راهنة ، انه استعاد بصره ، وابتسم ابتسامة عريضة ظلت مرتسمة على وجهه الجميل .

سينعم بكل شيء . .

لقد ترك له والده مالا ، واعطته والدته ايضاً مالا كثيراً ، وها قد مات والده ، وها هي امه لا تزال حية ، ورغم ذلك فهو يتمتع بمالها الكثير ، لقد صرف كثيراً من المال لرفاهية زوجته وولديه . . اما هو . . فما قيمة المظاهر والرفاهية بالنسبة اليه ؟ . . كانت تكفيه لقمة طيبة يأكلها ، وكرسي كبير يجلس عليه في الشرفة ، ليشكر الله على نعمه الكثيرة ، اما الان فسوف يصرف المال الكثير لرفاهية زوجته الشقراء وولديه العزيزين ، ولرفاهيته هو نفسه ، الم يرجع اليه بصره ، فاصبح شخصاً كباقي الناس ؟ .

انه يتذكر الان والابتسامة ملء فمه كيف كانت والدته تجلس بالقرب منـه وتواسيه على مصابه الذي جعله يختلف عن باقي الناس ، ويتذكر ايضاً كيف انها كانت تصف له زوجته فتقول له هذه الكلمات التي حفظها عن ظهر قلب : « انني انظر اليها بشعرها الاشقر ، وبشرتها البيضاء الناصعة وعينيها الزرقاوين الصافيتين اللتين تضاهيان زرقة السماء بل تفوقانها صفاء . . . »

آه كم هو مشتاق لرؤية زوجته .. هذه الشقراء الفاتنة التي طالما تخيلها، والتي سيفاجئها الآن بعودة بصره .

وتنبه الى منظر ابنه وهو يقوم من فراشه ويصيح : « اماه اين معطفي » فجاوبه صوت من الخارج ، صوت حبيب اليه ، صوت ليس غريباً عنه ، انه صوت زوجته المحبوبة يغرد من الخارج قائلا : « حاضرة يا بني » ثم دخلت ، ولكن .. هذه هي الخادمة !! اتكون هذه زوجته؟ . وزال كل شك حينما سمع ابنه يقول : « لم اره يا اماه » .

لقد اتضح له كل شيء ، ووقع الامر عليه وقوع الصاعقة ، هذه المرأة المكتنزة هي زوجته ؟ ! هذه .. ذات البشرة السوداء ، والشعر الاسود ، والعيون السود ، والشفتين الغليظتين اللتين طالما قبلهما ، هذا الجسد المكتنز هو جسد زوجتـه ، وهذا الوجه القبيح هو نفس الوجه الذي تخيله في عماه .

ولبث زمناً لا يعرف بمَ يفكر ... وبعد وقت يسير انفرد بأمه وسألها فجأة :

— اماه ، صفي لي زوجتي ، كما هي ، استحلفك بالله وبي ، انا ولدك الوحيد .

فقالت بطلاقة تعودتها منذ زمن :

— هل اؤديها حقها يابني ، مهما بالغت؟ . انها كأميرة جميلة بقامتها الممشوقة ، وشعرها الاشقر كالذهب ، وبشرتها البيضـاء ، كقميصك هذا ، وعيونها الصافية ... لقد دعوت الله ليسر لك زوجة فـاتنة فكان لي ما اردت . »

— وهل شعرها اشقر جميل كشعرك لما كنت شابة ؟

— واجمل منه .

— اذن هي غاية في الجمال ؟

— بكل تأكيد .

— ولون عينيها كلون السماء .زرقة وصفاء ؟

— بكل تأكيد .

ثم صمت مفكراً ، لقد عرف الآن المؤامرة التي دبرت له ، دون ان يشعر ، وكانت والدته وزوجته شريكتين فيها . شقراء ، اجل شقراء ، كلون هذا الخاتم الذهبي ، بيضاء ناصعة ، كلون هذا القميص القطني ، ذات عينين زرقاوين كلون هذه السماء الصافية ، هذه هي اميرة احلامه ، التي تصورها لما كان اعمى ، كلما جلست بقربه تحدثه .

وبعد قليل حضرت زوجته ، وتبعتها فتاة هيفاء القد رشيقة —بالنسبة لزوجته— انها الخادم ، لقد عرفها من صوتها . آه كم هي جميلة ، رغم انها سمراء ، ورغم ان شعرها اسود ، ولكنها جميلة على كل حال اجمل من زوجته ، هذه البهيمة ، هذا الفيل الصغير ، واخذ يقارن بين وجه الخادم ووجه زوجته ، حقاً انها رائعة ، رغم انها خادم ، ليتها كانت زوجته .

وعاش اياماً لا يعرف كيف يفكر .

وذات يوم حضرت لزيارتهم ابنة عمه التي عرفها من صوتها ، فاخذ يحدق فيها ، في هذا الوجه الجميل ، وهذا القد الرشيق ، وهذا الشعر الاشقر كخاتمه ، وهاتين العينين اللتين تشبهان زرقة السماء ، بل تفوقانهـا صفاء . ما اروع صوتها ، انها تتحدث بصوت موسيقي شجي يبعث على الطمأنينة ، انه يعشق هذا الصوت ، انه يعشق هاتين العينين ، انه يعشق هذا الوجه الدائم الابتسام ، انه يعشقها بأجمعها ، ان نظره لا يكاد يفارقها ليتها لا تتركهم ، ليتهـا كانت زوجته ، وارتجف لهذه الفكرة ، وهاتان الشفتان الرقيقتان المغريتان لو قبلهما . وحانت منه التفاتة الى زوجته الجاثمة على كرسي يئن تحتها ، فقطعت عليه حلمه اللذيذ ، وشوهت تفكيره في هذا الجمال البريء ، وهذه الغادة البريئة . والحت عليه هذه الفكرة ، لو كانت هذه زوجته ... انه يحترق بهاتين العينين ، وهذا الصوت السحري الموسيقي .

كان يعلم ان ابنة عمه ليست متزوجة ، ويتذكر ايضاً انه حينما كان في الثامنة من عمره ، اي قبل ان يفقد بصره بسنتين ، كان يتذكر ان والده قد اتفق مع والدها على زواج احدهما من الآخر ، ولكنه الآن لا يعرف لم لم يزوجوه منها . ؟ ! !

انها جميلة ، وصغيرة ، وابنة عمه ، وقد اتفق والده مع والدها ، لم لم يزوجوه منها . ؟

وعاش اياماً لا يعرف ما يفكر به ..

وذات صباح اختلى بامه وسألها :

اتذكرين يوم تعاقد والدي المرحوم مع عمي على ان يزوجني من ابنة عمي ؟

— اجل اذكر .

— ولم لم تزوجوني منها ؟

— لان زوجتك اجمل منها كثيراً .

— لا ، لا يمكن .

— كما قلت لك .

— (بغضب) : لا ، لا يمكن ان تكون زوجتي اجمل من ابنة عمي ، انني اتذكرها تماماً بشعرها الاشقر ، وعينيهـا الزرقاوين الصافيتين ، وبشرتها البيضاء ، اقول لم لم تزوجوني منها ؟

— لان زوجتك اجمل منها بكثير .

— وهـل انا الاعمى الضرير يهمني الجمال كثيراً ؟

— هذا ما فكرت فيه ابنة عمك .

— اذن فلهذا السبب زوجتموني من هذه المرأة ؟

وداعاً ...

★

سلي حبيبة نفسي عن ملذتي القصوى وآمال روحي الخفية، واجلسي هنيهة معي باعالي الهضبة الخضراء بين غروس الكرم وفي ظلال اشجار التين الغضة الاوراق، وارمقي بعينيك الثاقبتين نظرات عيني الحائرة الهائمة بعيداً تحدق بالمروج الممتدة في السهل الخصب الفسيح.

اطيلي الجلوس يا حبيبة نفسي، وحدقي الي ابصار عينيك وسلي روحك عما تقرأ نظراته من كتابة اعماق فكري السائح مع نظراتي المبهمة في الغير المحدود. ولا تسألي اذا اطالت عيناي نظرهما الى سواك لانك لن تزالي موضوع حب نفسي الاول، وثورة عواطفي التي لا تقمع.

ان في المروج الخضراء صورة لسهول لم تطأها قدماي بعد، وفي فسيح ارجائها صورة لمفاوز بعيدة الحد لم اجتزها، وفي الهضبة والكروم وظلال التين صورة ايضاً لهضاب واشجار كثيرة التنوع لم ارق ذرى تلك، ولا ذقت جنى هاتيك، ولا جلست الى ظل هذه، ونفسي طائرة على اجنحة مخيلتي تتأمل تلك السهول والمروج والهضاب والكروم والاشجار وتعجب بجمالها الخلاب اذ يلوح لها بعيداً بعيداً حتى لا ترى منه سوى بارق طيف لماع يستغوي العين ويستهوي الفؤاد.

اجل، حبيبة نفسي، نظراتي حائرة، وروحي يتوق الى السفر، وسوف يصحبه جسمي الى حيث يتوق.

وهناك، هناك في البلد الاقصى والارض البعيدة، هناك حيث سأذهب وسأكون... سوف تظل نظراتي حائرة ايضاً!.. ولكن آنذاك في الافق البعيد والفضاء اللامتناهي، تفتش على نفسي وحبيبة نفسي حتى في ظلمة الديجور..

ودعيني، ودعي جسمي المبتعد، يا حبيبة نفسي، واملئي قلبك من صورة نظراتي واطبعي رسمها على الشفق الاقصى في الغد القريب ستشهدين وداعنا مرسوماً هناك فاجعلي منه آية تقر عينيك كلما نظرت اليها.

عانقيني يا حبيبة نفسي واطيلي العناق فسوف يكون افتراق شفاهنا طويلاً وان دام عناق روحينا للابد.

وارخى الظلام علينا من ديجوره ستاراً حتى ساعة الفراق حيث مضيت اشد غايتي التي طال المدى لبلوغها ولكن ما برحت ارمق الشفق فأرى فيه حبيبة نفسي واقرأ عليه اشجى اغنيات الوداع.

سبيع بركات

— لا، لا، طبعاً لا. ولكن لمَ كل هذه الاسئلة؟

ولكنه لم يجب. لقد عرف السر، ان ابنة عمه لم تتزوجه لانه كان اعمى، لا يقدّر الجمال، ولكنه الآن يبصر ويقدّر الجمال، فهل تتزوجه يا ترى؟؟

وحاول مرة ان يحتضن زوجته ويقبلها، ولكن ايحتضن هذا الجسد الذي يشبه الفيل، وينهل هاتين الشفتين الغليظتين؟

كان يشعر انه في مكان غريب، وقرب امرأة غريبة الخلق والاطوار، لا يمكن ان تفهمه، كما انها لا يمكن ان تعرف ما ذنبها لا، ليست هذه بالبيئة التي يمكنه ان يعيش فيها بعد الآن

وعاش لحظات لا يعرف ما يفكر به.

واخذ ببصره زوجته وهي تعبر الممر الذي كان مشرفاً عليه، فاغمض عينيه لكي لا يرى هذا المنظر، منظر زوجته، ولكن أليست بزوجته على كل حال، التي قاسمته الهموم والاحزان واحتملته حين كان اعمى افيتخلى عنها الآن؟..

ولكنها قبيحة للغاية، ولا يمكنه ان يعيش بقربها، آه ايستطيع ان يقبّل هذه الزنجية السوداء المكتنزة بعد ان كان يتخيلها غادة ذات شعر اشقر، وبشرة بيضاء، وعيون زرق صافية؟؟» ولكنها زوجته على كل حال، لقد تعبت في تربية اولاده، ورضيت به لما كان اعمى، افلا يرضى بها، ويسعدها بعودة بصره كما سعد هو؟؟

ليرجع اليه عماه.. ليته لم يبصر. لقد تمنى ذلك من اعماق نفسه رغم انه انسان، ورغم انه يشعر بحاجته الملحة لان يبصر.

وبعد ايام، بينما كانت الطبيعة الهادئة تودّع اذيال الليل، لتستقبل طلائع الصباح، كان هو يسير في الطريق الخالي بخطوات متزنة قوية، تاركاً ضميره الحي الصارخ في الغرفة الهادئة المعتمة كالقبر، الى حيث لا يدري.

حلب — نزار فتال

لتمثال الخالد

ألبستني ثوب الخلود وقلت لي : عيشي — لك الحسن المخلد — واخطري !
وجعلتني جسداً نحت جماله ، حجراً ، بغير خلوده لم يشعر
ماذا اريد من العصور ، اذا مررن على جمال كالمفازة مقفر ؟
أسكب بريق النور يابن النور في ليل الخلود ، وصبّه في محجري !
وانفخ عصارات الحياة كنسمة حيرى ، تمر بجسمي المتسمر
أهتز عاطفة ، وأخطر رعشة وأعيش سراً في ضمير الأعصر
وخذ الخلود — اذا أردت — بلحظة تهب الشعور لحسي المتحجر
يا ناحت التمثال عدني مرة واعتق إساري في الرخام وكسّر
ما انت بالانسان حين خلقتني ما انت وا — أسفاه — الا عبقري

☆

خليل الهنداوي
حلب



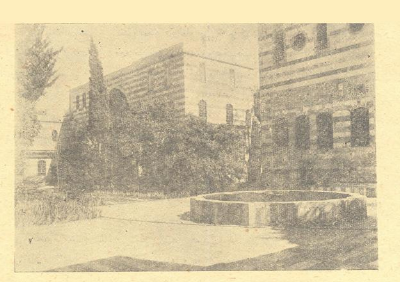
☆

السراب

كنت لي مطرف الخيال ووشي النفس والعزّ والرضى والتعلّة
والمقيل الهني والواحة الغنّاء في وحشة السنين المملّة
ورواء لولاه ما حلم الكرم ولا طلّت العناقيد طلّة
كنت خصباً حتى اذا رحت أجنيه ترامى محلّاً على كل تلّة
تتهادين كبرياء وفي بعض شموخ النسور اشباح ذلة
يبست كرمة الاماني ولم يترك لي الصيف في العناقيد نهلة
احتسي الليل ، من ترى يحتسي الليل سوى الشارب الذي ضلّ سبله !
أنت ظن حسبته قبل ايماناً فلما ضحا تبينت ظله
ليت لم ينزل الصباح على الدنيا ولم ترتشف من الضوء مقلة
يا سراباً لا ماؤه ماء ارواء ولا وهجه الملوح شعلة
كل ما لي منه اذا انتفض الرمل بقايا هوى ورعشات قبلة

☆

الياس خليل زخريا



قصر العظم : الحرملك والصحن والجنائن



قصر اسعد باشا العظم بدمشق

وضعه صلاح الدين المنجد
رئيس ديوان دائرة الاثار القديمة في سورية

☆

تمهيد النصوص التي بين ايدينا عن القصور والدور الدمشقية ، في مختلف العصور الاسلامية ، قليل جدا. فنحن لا نعرف عن قصور بني امية الا ما كان منها خارج دمشق في البادية ، اما ما كان في دمشق ، فقد نعلم مكانه ونجهل صفته . وقد الف ابن ابي العجائز كتاباً في قصور بني امية ، نقل عنه ياقوت نقولاً كثيرة . ولكنه لم يصل الينا . وكذلك ذكر ابن عساكر عدداً كبيراً من دورهم التي كانت في دمشق ، عند الكلام عليهم كدار هشام بن عبد الملك ، ودار عمر بن عبد العزيز وغيرهما ، ولكنه لم يصف واحدة منها ، حتى ولا الخضراء دار الامارة التي بناها معاوية وسكنها اربعين عاماً . وما لدينا من النصوص عن هذه الدار ، التي اقتطفناها من الشعراء والمؤرخين ، لا يصفها الصفات التامة لها .

وفي زمن العباسيين ، بنى المتوكل قصراً بين داريا والمزة . ولم نعرف صفته ولا موقعه . وبنى خمارويه في الربوة قصراً لم نعرفه . ثم لما جاء الفاطميون ، انتقلت دار الامارة من البلد الى سفح قاسيون بجانب دير مران . ولم يصف احد هذه الدور كلها .

ونجد المصادر تذكر قلعة دمشق ، لاول مرة ، في زمن البوريين والسلاجقة . وتنص على ان مقرهم كان فيها . حتى اذا جاء نور الدين بنى (دار السرور او المسرة) فيها . فلما جاء العادل هدمها ، واعاد بناء القلعة على الوجه الذي نراه اليوم . وغدت القلعة سكناً للايوبيين الملوك في حياتهم وقد كان لافراد منهم ، ولامرائهم ونوابهم قصور ودور في المدينة ، كدار اسد الدين شيركوه ، ودار الست خاتون والدة الملك العادل ، وقصر الملك الاشرف

الذي بناه بالنيرب وكان يسمى (الدهشة) ودار جمال الدين يغمور نائب الملك الصالح ايوب بدمشق، ودار اسامة . . . ولكننا لا نعرف صفة هذه الدور على التفصيل .

وكذلك تذكر النصوص ان نور الدين انشأ دار العدل . وهي التي سميت بعد (دار السعادة) وكان على بابها باب النصر الذي فتحه الملك الناصر بن ايوب للمدينة . وكان هذا الباب سوق الاروام بسوق الحميدية . ولا نعرف من صفة هذه الدار شيئاً .

اما في زمن المماليك . فقد اشتهرت قصور ودور لبعض الامراء ونواب السلطنة نذكر منها القصر الذي بناه تنكز في طريق داريا ، ودار القاضي شهاب الدين ابن فضل الله كاتب الاسرار وقد كانت هائلة ليس بالسفح مثلها . ودار الحليلي بالقصاعين وكانت هائلة ايضاً ، ودار الامير ابن منجك ، وكانت في المنيبع ، اي الارض التي يحتلها حي الحلبوني حتى التكنة الحميدية . ولم نعرف ، من صفات هذه كلها الا القليل .

وقد نستطيع ان نعلم صفة دور هؤلاء الامراء زمن المماليك من الدور التي كانت في مصر . فمن المحتمل ان هؤلاء الامراء الذين كانوا في دمشق قد قلدوا في طراز دورهم، دور القاهرة . ومن حسن الحظ ان هذه الدور في مصر ، قد عرفت صفاتها على الدقة ، وقراءة كتاب « قصور ودور القاهرة في العصر الاسلامي » لا يدمون روتي Ed. Pauty ، توضح انا ما كانت عليه الدور في القاهرة .

على ان اعظم قصر بني في زمن المماليك بدمشق كان « القصر الابلق » وقد كان قصراً رائعاً فخماً . وقد حفظ لنا القلقشندي بعض صفته . ولعله اول قصر في دمشق نجد من يعنى بوصفه ووصف ما فيه ، وترتيبه ، من الداخل والخارج . ومن المؤسف ان يتسلط عليه احد السلاطين العثمانيين ، فينقضه ، ولقد اخذ احجاره وآلته وبنى بها التكية المعروفة باسمه بدمشق .

اما في العهد التركي ، فقد قامت في دمشق وحماة وحلب دور كثيرة . وقد سرد ولزنجر ووتزنجر قائمة بدور دمشق التي انشئت في هذا العهد ، وغفلا عن دور اخرى لم يعرفاها . على ان اعظم دار او قصر بني في هذا العهد ، وكان له صلة وثيقة بالفن الاسلامي ، فقد كان قصر (اسعد باشا العظم) الذي سنتكلم عليه . فهو الانموذج الوحيد الذي حفظته دمشق لدور الوزراء او الرجال الرسميين في مختلف عهود التاريخ الاسلامي .

٢ — قصر آل العظم

موقعه : يقع هذا القصر في قلب مدينة دمشق ، على مائة وخمسين متراً جنوب المسجد الجامع الاموي ، في بقعة لها شأن من الوجهة الآثارية .

هذه البقعة ، كان انشىء فيها ، زمن الايوبيين والمماليك ، كثير من المدارس والابنية التاريخية . كالمدرسة الجوزية التي بناها ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ، والمدرسة الفارسية التي اوقفها الدوادار سيف الدين فارس سنة ٨٠٨هـ ، والمدرسة التنكزية التي بناها امير الامراء تنكز سنة ٧٢٩هـ ، والمدرسة القليجية التي اوقفها الامير سيف الدين قليج ، وعمرت بعد وفاته سنة ٦٤٥هـ . وحمام نور الدين المبني بين سنة ٥٤٩ هـ وسنة ٥٦٧ هـ .

وبقرب هذه البقعة التي قام فيها القصر يمر سوق من اعظم اسواق المدينة في مختلف العصور ، هو سوق البزورية اليوم ، وسوق البزوريين او سوق القمح ، كما كان يسمى في القديم .

وقد قام هذا القصر ، مكان (دار الذهب) التي بناها نائب السلطان بدمشق تنكز . وكانت (دار الفلوس) ، فعمرها ، وبالغ في زخرفتها وسماها دار الذهب ، وعمر امامها تماماً ، في جنوبها ، دار القرآن والحديث التنكزية .

ومما يؤيد هذا النص التاريخي ان الاسبار التي قام بها الفرنسيون في القصر عام ١٩٣٥م ، على عمق ٢٥٠ سم قد اظهرت بحيرة صغيرة من الفسيفساء . وعليها رنك (شعار) تنكز .

اما قبل ان تكون دار الذهب ، فقد ذكرت المصادر انها كانت (دار الفلوس) وقبل ذلك ، في صدر الاسلام ، جعلها بعضهم دار خالد بن الوليد ، كما ذكر بدران في منادمة الاطلال ، ودار معاوية بن ابي سفيان كما ذهب اليه البديري الحلاق .

ومما لا شك فيه ان قسما منها كان ، قبل ان يدخل المسلمون دمشق ، قطعة من صحن معبد جوبيتر . ومن المؤكد ان اساس سور هذا المعبد يمر من صحن قصر العظم ، وقد يظهر اذا اجريت اسبار فيه ، تمتد باستقامة الجدار الروماني الذي نرى بقاياه امام باب سوق الخياطين في شمال المدرسة النورية الكبرى .

٣ — من هو اسعد باشا العظم

كان قد اتى من حماة الى دمشق والياً عليها ، بعد وفاة سليمان باشا العظم . وكان اميراً للحج . وقد كانت الفوضى ضاربة اطنابها في زمنه ، مع ظهور الفسق والفجور وعدم اهتمامه بامور الرعية . وهذا يظهرلنا من الحوادث اليومية المخطوطة التي تركها معاصره البديري الحلاق ، والمحفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق . غير ان من صفاته الحسنة انه كان محباً للعمران ، فقد ترك في حماة قصراً من اروع القصور ، وبنى في دمشق قصراً اكثر روعة واعظم فخامة . وخاناً فخماً ، قل ان تجد في دمشق خاناً مثله في سعته وجمال زخارف واجهته وطراز بنائه . يضاف الى هذا انه اقام جسر الكسوة ، وعمّر الخزانات والابراج على طريق الحج .

فهذه الآثار الباقية ، تعد من الاعمال الجليلة التي قام بها ، ولقد خلدت اسمه وذكره ثم توفي مقتولا سنة ١١٧١ هـ ، وترك وراءه ثروة عريضة وذرية وافرة . ومن اراد التوسع في ترجمته ، فليرجع الى هذه المذكرات المخطوطة ، فهي الينبوع الاول يستقي منه كل من يدرس ترجمة هذا الرجل . لان المؤرخين الذين ارخوا القرن الثاني عشر ، وطبعت كتبهم قد اهملوه ولم يترجموا له .

٤ — كيف بني القصر

ولبناء القصر قصة من اطرف ما يؤثر . قصة حية . تدلنا على سيرة هذا الرجل واغتصابه وظلمه واهماله رعيته ، وفرط عنايته بانشاء قصره . وقد تدلنا على ما كان عليه الولاة في دمشق ، زمن العثمانيين وسأدع المؤرخ البديري يسرد عليك كيف بني القصر .

قال البديري ، في حوادث سنة ١١٦٣ هـ شهر ربيع الاول ، ما يلي :

« .. وفي تلك الايام اخذ الوزير اسعد باشا دار معاوية رضي الله عنه ، واخذ ما حولها من الخانات والدور والدكاكين ، وهدمهم . وشرع في عمارة داره السرايا المشهورة التي هي قبلي الجامع الاموي . وجد واجتهد في عمارتها ، ليلا ونهاراً .

« فقطع لها جملة من الخشب اثناعشر الف خشبة . وذلك ما عدا الذي ارسلوه له اكابر البلد والاعيان من الاخشاب وغيرها . ورسم على حمامات البلد ان لا يباع قصرمل لاحد . بل يرسل لعمارة السرايا . واشتغلت بها غالب معلمين[1] البلد ونجاريها ، وكذلك الدهانين . بل قل ان يوجد معلم متقن او نجار او دهان كذلك الا والجميع مشتغلون بها .

« وجلب لها البلاط من غالب بيوت المدينة . اينما وُجد بلاط او رخام او غير ذلك ، مثل عواميد وفساقي ، يرسل يقلعهم ويرسل القليل من ثمنهم .

« وكان في قرب تربة البرامكة[2] قصر الزهرانية — قيل هو من عمارة الملك الظاهر — وهو على ظهر بانياس مطل على المرجة . وكان مكان متنزه عظيم تهدم غالبه . وفي قربه مدفن ، وعليه قبة من حجر . ورأس القبة مقلوع ، وفيه وهدة .

قيل انه كان في رأسها خبية قديماً فأخذت .

قال المؤرخ : ومما بلغني عن سبب اخذها انه كان مكتوباً على باب جدار القبة هذه المواليا :

داري زمانك وصحبك داريها
وتجنب الناس عاليها وواطيها
وان سألوك عن عيوب الناس غطيها
العقل في الراس ، قاصيها ودانيها

فاخبر حضرة الوزير اسعد باشا ، صاحب العمارة ، عن هذه القبة ، وعن المدفن الذي بجانبها ، وان الانذال والاشقيا . يجتمعون عندها هناك ليلا ونهاراً على فسق ونساء وغير ذلك . فامر بهدمها حالا ونقل حجارتها الى داره .

« وفي تلك الايام ، بلغ حضرة الوزير ان في جانب دار ابن كيوان طاحونة قديمة يقال لها طاحون الرهبان . وقد تهدمت . ولم يبق منها على نهر بانياس سوى رسوم اسفلها وانها مركبة على بانياس . فحالا امر حضرة الباشا بقطع نهر بانياس ، وان يخرجوا جميع ما فيها من اعمدة واحجار وينقلوهم الى الدار . فاشتغلت الفعلة والحجارة والبساتنة واستقاموا يقلعون الاحجار وينقلونها الى دار الباشا اثناعشر يوماً ، والنهر مقطوع عن اصحابه .

« وفي يوم الخميس سادس وعشرين ربيع الثاني من هذه السنة عمل حسن افندي السفرجلاني وليمة لحضرة اسعد باشا والي الشام بالصالحية في قاعة ابن قرنق . وكانت ضيافة عظيمة . قيل تكلف عليها نحو احدى عشر مائة غرش . فنظر حضرة الباشا الى سروات شاهقات في داره ، فطلب من صاحبهم علي آغا بن قرنق قطعهم لاجل عمارة داره وعرض اسعد باشا صاحب العمارة عليه شيئاً من المال فأبى ان يأخذ من ثمنهم شيئاً . وقطع له ثلاث

---

(١) اي بنائي البلد .

(٢) هي مقبرة الصوفية المشهورة التي دفن فيها كبار علماء دمشق في القرون الماضية . وهذا النص يدلنا على ان اسم المقبرة كان هذا ، من مائتي سنة . وقد قامت مقام المقبرة ، على رفات العلماء ، الجامعة السورية والمستشفى الوطني .

سروات ليس لهم نظير في الشام ولا في غيرها .

«ونقل من قرية بصرى احجاراً واعمدة من الرخام شيئاً كثيراً .

« واخذ من مدرسة الملك الناصر التي في الصالحية اعمدة غلاظا جيء بهم محملين على عربات تجر بالبقر .

«وهدم سوق الزنوطية التي فوق حارة العمارة ، وكان كله اقبية معقودة ، فامر بفكه ونقله الى داره المشار اليها .

« ونقل اليها اعمدة من جامع يلبغا .

« وكان كلما سمع ببلاط بديع او اعمدة او احجار من اي محل كان يأتي بها شراء وغير شراء .

«قال المؤرخ احمد البديري : وفي تلك الايام قتل ابن خطاب الآلاتي في سوق البزورية محل اذان العشاء . جاءه ضرب سلاح على رأسه اخذ نصف رقبته معرأسه فوقع قتيلا كأن ما كان . هذا ، ووزير الشام مشغول في عمارة داره ، ولم يلتفت الى رعاياه وانصاره ، ويقول : ائتوني بحجارة المرمر والرخام والمرو وتفننوا بالبناء والنقوش والتحلية بالذهب والفضة .

« وخرب سوق مسجد القصب واستجاب جميع ما فيه من احجار واخشاب .

وكلما سمع بقطعة او تحفة من رخام او قيشاني او غيرها ، يرسل يأتي بها ، ان رضي صاحبها او ابى . واذا اراد الفقير ان يعمر او يرمم لم يجد معمارياً ولا نجاراً ولا خشباً ولا مسمارا ولا ترابا ولا قصرمل ولا احجار . وهذا مع غلاء الاسعار وحلول الاكدار .

« وقد اخذ حضرة الباشا قدراً وافياً من ماء القنوات ، فما وصل الى السرايا حتى تقطعت السبل ، ومياه غالب الجوامع والحمامات ، وبقي مدة مقطوعاً حتى عن غالب البيوت »

(انتهى . ورقة ١٣٣ آ ، ب و ٣٤ آ ، ب . من نسخة رفيق بك العظم بدار الكتب الظاهرية بدمشق)

فهذا النص ، وثيقة تاريخية ذات شأن تبين لنا كيف بني هذا القصر ، وكيف جمعت مواده وآلاته من خشب وحجارة ورخام واعمدة من الدور والمدارس القديمة والاسواق والطواحين والقرى . وكيف اخذت مياهه من الانهر ، وكيف صارت في دمشق ازمة فقدان من يعمر او ينجر . لقد فقد كل شيء .. حتى التراب والمسمار . فذلك كله قد اخذ الى دار الباشا .

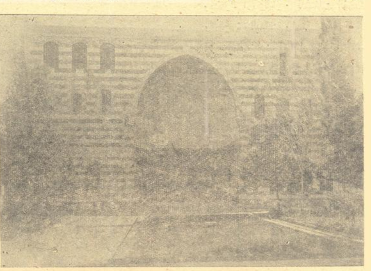
وفي الواقع ، يلاحظ زائر القصر اذا دقق ونقر ، ان هناك قطعاً كثيرة يبدو عليها عدم الانسجام . وان كل قطعة قد اخذت من مكان . ويبدو ان البنائين والمزوقين جهدوا جهدهم ، ليخلعوا على هذه القطع المختلفة الانسجام ، ويجعلوها وحدة قائمة بذاتها قدر المستطاع .

واسعد باشا العظم يذكرنا برجل آخر سبقه الى جمع الاحجار والآلات والرخام والعواميد لبناء مدرسة اراد انشاءها . وهو نائب دمشق سيباي . فقد ذكر النعيمي في كتابه المخطوط « تنبيه الطالب وارشاد الدارس ... » انه في سنة ٩١٥ ه ، اراد سيباي هذا ، ان يعمر مدرسته . فعمرها بالحجر الابلق والرخام ، وجعلها جامعاً ومدرسة وزاوية وتربة . ولم يدع بدمشق مسجداً مهجوراً ولا مدفناً معموراً ولا مدرسة قديمة الا واخذمنه من الاحجار والرخام و ... ما احب واراد . حتى سماها علماء دمشق « جمع الجوامع »

واذا كانت السيبائية «جمع الجوامع» فدار اسعد باشا العظم « جمع من كل شيء وكل مكان » .

٥ - تخطيط القصر وطراز ريازته

هناك ظاهرة تبدو ، لاول وهلة ، في طراز ريازة الابنية في العصر العثماني . هي



قصر العظم : ايوان الحرملك والبحيرة المستطيلة

تأثر هذه المباني بطراز الاناضول . فلقد انساقت سورية الى ذلك سوقاً ، ولم يكن لها طراز خاص في البناء ، يظهر عبقريتها ويدل عليها . نشاهد هذا واضحاً في العمارة الدينية ، كالمساجد ، وكالتكايا والعمارات المقببة التي يطبخ فيها الطعام وتحاط كالجنائن وتستقبل الدراويش وطلاب العلم . ويبدو ذلك في العمارة التجـارية كالقيساريات والخانات . وهذا الضرب الاول لم يعرفه الفن المعماري السوري قبل العثمانيين . ثم يبدو اخيرا في العمارة المدنيـة كالدور والقصور .

واذا كانت الدور في القـاهرة قد اتبعت اوائل عهد العثمانيين طراز المماليك ، فان دور دمشق التي نراها اليوم ، من زمن العثمانيين ، قـد تأثرت كل التأثر من حيث ترتيبها وتقسيمها وزخارفها بالطراز التركي

وهذا الامر طبيعي

ذلك لان الولاة الذين كانوا يبنون هذه الدور ، كانوا ولاة قد تأثروا باستامبول وقد يكونون عاشوا فيها طويلا ، فلا غرو ان يستمدوا عناصر طراز دورهم من دور استامبول وقصورها

ولان اعيان البلد ، الذين كانوا يبنون كانوا يقلدون الولاة فيما بنوه ، على قدر استطاعتهم . ويشيدون كما شادوا ، مع فروق ، لا بد منها ، في الزخرفة ، والسعة ، وكثرة الانفاق . امـا الهيكل الاصلي للدار ، او ما اعدت له ، فيبقى واحدا

ونلاحظ ان هذه الدور قد تأثرت ، قبل كل شيء ، في تخطيطها العام بحاجات صاحبها ، وبالغرض الذي انشئت من اجله ، فهي قد انشئت للسكن اولا ولاستقبال رجال الدولة او الرعية عند الرجال الرسميين من الولاة ، او لاستقبال الضيفان عند الناس ، ثانياً : واذن فلا بد من ان يكون في الدار قسمان : قسم عام لاستقبال الناس ، وقسم خاص للحرم والازواج . يضاف الى ذلك قسم ثالث ، في قصور الامراء او الولاة هو قسم الخدم والاصطبلات .

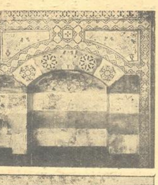
هذا القسم العام — في دور الولاة ، كان يسمى «السلاملك» اما القسم الخاص فكان يسمى « الحرملك » .

اما في دور الناس ، فهنـاك «القسم البراني » وهو لاستقبال الناس والضيفان ، و « القسم الجواني » وهو لاهـل البيت والحرم .

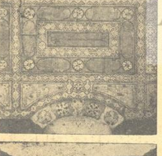
ثم ان كل قسم من هذين القسمين قد تأثر ايضاً بما اعد له ايضاً ، فروعي في السلاملك ما ينبغي ان يكون في مكان يجلس فيه الوالي للناس ، ويستقبـل فيه ارباب الدولة واصحاب الامور وروعي في الحرملك مـا ينبغي ان يكون في مكان اعد لتعيش فيه النساء ولا يخرجن منه .

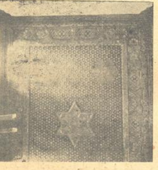
ولهذا كان يجعل السلاملك ، ظاهراً رائعاً ، فيه الابهاء الواسعة ، وفيه قـاعة مزخرفة وفيـه ديوان كبير . . . وكل ذلك قد مسح مسحة من الجمال الصناعي الفني

أما الحرملك فهو اعظم شأناً لان حياة الاسرة السجينة بين الجدران ، التي لا تستطيع ان تمد عينيها الى الخارج ، كانت توجب ان يكون في الدار التي تعيش فيها ، كل ما يرغب في البقاء فيها ولهذا كان يعنى ان تكون في اتجـاه حسن وان يكون فيها غرف تدخلها الشمس ، وغرف يخيم فيها الظل ، وغرف تجد فيها الطراوة والرطوبة ، ينجو بها الانسـان من لذع









انموذجـات من زخارف القصر

القيظ وان يكون فيها صحن واسع بلطت ارضه بالرخام، يلعب فيه النساء الصبايا ويتضاحكن، وتنظر اليهن العجائز ويمزحن وفي وسط الصحن بحيرة كبيرة يتدفق منها الماء، وفي اطراف الصحن احواض فيها زهور مختلفة، وفيها اشجار منوعة. فما شئت من ورد وياسمين وفل، وغير ذلك، وما شئت من ليمون وبرتقال واترج ومشمش هندي، وليمون حلو.

والى جانب هذا كله فهناك الايوان الواسع المطل على الصحن، المزخرف بأنواع من الزخرفة. وهناك القاعات العريضة ذات السقوف المرتفعة، فيها فساقي من الفسيفساء، وقد زين ذلك كله بانواع من الرخام الملون والجزع والمفصص، والخشب المدهون باحلى الاصباغ والمزخرف بأبدع الزخارف الهندسية والنباتية، وجعل عليه ابيات من الشعر الغزلي والديني اللطيف. وخاصة في السقوف، وفي اطراف الجدران من الاعلى، وعلى الخشب الذي يستر جوانب الايوان، وقد يكون الشعر ايضاً على أبواب الخرستانات ومن السقوف تتدلى الثريات

وكذلك لا تعدم الدار حماما، فيه امكنة باردة وساخنة، ويكون مزخرفاً، مزوقاً. وعلى الجملة، كان الحرملك فتنة من الفتن. وقد جعل كل شيء فيه لطيفاً جميلا محبباً الى القلب، لا تمله النفس.

وبعد فاذا نجد نحن في قصر العظم؟ ان تخطيط القصر، لا يخرج عن الهيكل العام الذي ذكرناه، وعن الامور التي ابناها. فهو مؤلف من السلاملك والحرملك، ومن قسم ثالث للخدم والاتباع.

يدخل الزائر من الباب الغربي للقصر، — وهو الباب الذي يطل على اسفل سوق البزورية — الى دهليز، فاذا مشى فيه بسعة امتار، وجد مدخلا نحو اليمين. وباباً على اليسار. فاذا سار في المدخل من جهة اليمين، بلغ السلاملك. واذا دخل الباب الذي على اليسار وصل الى الحرملك، وقسم الخدم.

والسلاملك مؤلف، الان، من صحن مستطيل. في صدره، نحو الجنوب، ايوان كبير يطل على الصحن، وعلى كتفيه غرفتان. وقد احترق هذا القسم عام ١٩٢٥ ولم يعد، الى ما كان عليه.

وفي شرق الصحن قام بناء حديث، اعد لسكن مدير المعهد الذي يشغل القصر. فاذا عاد الزائر ودخل من الباب الذي على اليسار، في الدهليز، دخل الى الحرم وقسم الخدم. فهو اذا سار نحو الشمال دخل قسم السلاملك، او شرقاً وجد نفسه في صحن الحرملك.

وفي قسم الخدم، نجد صحناً صغيراً، فيه بحيرة. ونجد ايواناً، ونجد غرفة، وفيه مطبخان واسعان، وبعدها غرفة فيها موقدة تركية تصنع فيها القهوة التي كانت تقدم للحرم وللضيفان طوال النهار.

اما القسم الاخير وهو الحرملك، فهو اعظم الاقسام شأناً، واروعها زينة، واوسعها غرفاً. وله صحن واسع جداً ٤٥×٢٥ م، مبلط ببلاط مختلف الالوان عليه اشكال هندسية مختلفة. وفيه اشجار وزهور منوعة. وفيه بحيرتان الاولى مستطيلة واسعة امام الايوان، والثانية مدورة في غربيها.

وعلى اطراف الصحن نجد الغرف. وهي غرف واسعة، تصلح بعضها ليسكن في الصيف، وبعضها ليسكن في الشتاء.

والايوان الكبير من جهة الجنوب، وعلى كتفيه غرفتان، وفوقها غرفتان ايضاً.

وكان الاستقبال يجري في القاعة، وهي بشكل T، وقد بولغ في زخرفتها وخوربت عام ١٩٢٥ م، ورممت عام ١٩٣٤ م[1].

وقد كانت كل غرفة من غرف الحرملك عدا التي يجري فيها استقبال الحرم لواحدة من نساء الوزير وخدمها. وعندما انتقل القصر الى ذرية اسعد باشا، فقد هذه الميزة واصبحت فيه اسر كثيرة مختلفة، لافراد بيت العظم وقد ظل كذلك الى ان باع قسما كبيراً منه الى الفرنسيين، اصحابه من آل العظم، وظل قسم منه بيد بعضهم، وذلك في سنة ١٩٢٢ م.

ومنذ ذلك الحين، لم يعد هذا القصر، داراً للسكن، او للاستقبال كما كان من قبل. بل صار فيه معهد اسمه «المعهد الفرنسي» للدراسات الشرقية. وكانت هذه الدراسات عند بعض مدرائه القدماء، ستاراً تخفي غايات سياسية.

وقد كان السلاملك قبل اغلاق المعهد بسبب حوادث ايار ١٩٤٥، سكناً للمدير المعهد وكان قسم الخدم لاعضاء المعهد الذين يبيتون فيه.

وفي الحرملك، جعلت المكتبة، وهي مكتبة ذات شأن لما فيها من كتب قيمة وقاعة عرض الآثار، ومخزن الكتب، ومكتب مدير المعهد، ومكتب خازنة المكتبة. ومكتب امين السر. وغير ذلك.

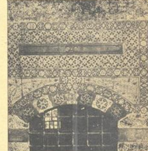
٦ — الزخارف والنقوش

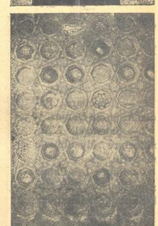
رأيت من قبل ان اسعد باشا، عني ببناء قصره هذا عناية فائقة، وانه كان يقول: «اتوني بحجارة المرمر والرخام والسرو وتفننوا بالبناء والنقوش والتحلية بالذهب والفضة»، وان جميع مزوقي

(١) لم استطع وضع تخطيط هندسي تام للقصر بسبب اغلاقه.









انموذجـات من زخارف القصر

ودهاني ونجاري البلد قد اشتغلوا فيه ، فلا غرو ان يأتي هذا القصر ، بعد ذلك كله ، اجمل دور دمشق تخطيطاً وترتيباً ، وأغناها زخرفة وترويقاً .

وقد لاحظ « ايكوشار » ان هذه الزخرفة القائمة على النقوش والرخام والذهب تخفي فقر العمارة نفسها . وأعتقد ان ذلك راجع الى ان مواد البناء المستعملة ، لم تكن جديدة ، بمعنى انها كانت مستعملة من قبل . ولذلك لاحظ ايكوشار ان محال كثيرة من القصر تكاد ان تنهار .

على ان هذه الدار ستظل « اروع انموذج للفن الاسلامي في ابان انحطاطه . »

ولنذكر الآن باختصار اهم انواع الزخرفة التي استخدمت لتحلية هذا القصر فان الكلام عليها بالتفصيل يحتاج الى كتاب .

١ ً ـ المرمر والرخام : فقد استخدما كأداتين للتزيين . وقد ذهب ايكوشار الى ان من المحتمل ان يكون المرمر قد أتي به من ايطاليا . وانا استبعد ذلك ، بعد ان قرأت ما كتبه الحلاق . ومن المؤكد ان المرمر والرخام قد جما ، من الدور والقصور القديمة الموجودة في دمشق .

وقد فرشت الصحون بالرخام كلها . وركبت باشكال هندسية مختلفة وبالوان منوعة . فأنت تجد من هذه الاشكال المستطيلات ، والمثلثات ، والدوائر والمنحنيات ، وتجد اللون الابيض والاسود والاحمر . وانت تلاحظ ذلك في صحن الحرملك .

ونحن نجد مثل ذلك في الحمام . وفي الحمام فصوص رخامية تشكل اشكالا مختلفة ، فهي فسيفساء رخامية ، وفيه ايضاً فسيفساء حجرية .

وفي بعض الاماكن من القصر نجد زخارف محفورة في الرخام وقد احيطت هذه الزخارف بخيوط من ذهب .

٢ ـ الخشب المزوق . وهذا النوع من الخشب هو ذو شأن لانه مما امتاز به العصر التركي . وقد كان يستخدم لتغطية عمدان السقوف ، وللابواب ، ولكسوة الحيطان ، حتى انصافها . وهذا الخشب بصورة عامة ، قد دهن باصباغ مختلفة ، فيها توافق وانسجام ، وزُوّق باشكال هندسية او نباتية ، وقد تجد بعضه يحمل ابياتاً من الشعر . وهذا الشعر الذي تجده ، اغلبه في مدح الرسول عليه الصلوات والسلام ، وقد تجد ابياتاً من البردة حول الحيطان ، وفي اطراف السقوف ، وفي الايوانات ، وفي القاعات . ومن الجميل جداً ، ان تمتع عينيك بهذه الزخارف ، وتقرأ في آن معاً :

نعم سرى طيف من اهوى فأرقني
والحب يعترض اللذات بالالم

والنفس . . .

ومن يلاحظ سقوف الغرف يجد انها منوعة مختلفة . وان فيها من الاشكال الهندسية النافرة او الغائرة ، الشيء الكثير والقصر ، بسقوفه وحدها ، يعد آية من آيات الزينة ، وفيه اكبر مجموعة من هذه الاخشاب الفنية .

اما الخشب الذي يكسو الحيطان ، فنجد فيه زخارف نباتية ، بالوان زاهية مختلفة . وهذه الزخارف النباتية هي باقات من الزهر ، تحيط بها خيوط من الذهب .

وقد لاحظ ايكوشار ان هذه الزخارف الخشبية اذا كان يبدو فيها مهارة الروح العربية بدقتها ، فانها اقل تأثراً بالفن العربي في انتقاء موضوعاتها ، وقد خيل اليه انها مأخوذة عن (انموذجات) ايطالية كانت منتشرة في القرن الثامن عشر .

وظاهرة يجب ان تلاحظ ، هي ان بعض الخشب ، كالذي في السلاملك ، مطعم بزجاج وخوز . او موشوس بالفضة وبالذهب . والالوان المستعملة في كل ذلك لوان جميلة، مختلفة، منها الذي يروق شكله اومنها الذي يخدع العين ، ويبدو مبرقشاً بالوان متعددة .

٣ً – زخارف الحجر – وهذا ضرب من تكفيت الحجر . فنحن نجد ، فوق النوافذ، وفي بواطن الاقواس مثلاً، احجاراً فيها زخارف هندسية باشكال لا تعد ولا تحصى . وهي تدل على فن خاص اشتهرت به دمشق في ذلك العصر . فالرسم الهندسي قد حفر في الحجر ، وهذه الحفر او التجويفات ملئت بعد تجويفها باسمنت او جص ملون ، حتى ساوت سطح الحجر .

ولا يمكن وصف هذه الزخارف لتنوعها ودقتها وكثرتها ، فاينما تحول بصرك في القصر تجد اللطيف والجميل منها .

وانت اذا دققت في الصور ، رأيت اي جمال فيها، واي خصوبة في تنوع الاشكال ولو زرتها لرأيت جمال الوانها وسحرها .

ولعل القاعة، في الحرملك، تجمع كل الوان الزخارف التي ذكرناها .

وبالجملة ، فان هذا القصر، ليعد من اروع واجمل ما عرفت دمشق من هذه الدور في العصر العثماني ، وهو آية فريدة من آيات الفن الاسلامي في العصور الاخيرة

٧ – القصر في مختلف العصور

١ً – بني القصر في سنة ١١٦٣ هـ

٢ً – وسعه اسعد باشا في سنة ١١٦٤ هـ .

٣ً – ظل في ايدي آل العظم الى سنة ١٩٢٢م ، فبيع بعد ذلك للفرنسيين، وجعل معهداً للدراسات الفنية تارة والشرقية تارة .

٤ً – احترق قسم من السلاملك ، واصيبت اقسام مختلفة منه باضرار كثيرة ابان الثورة السورية سنة ١٩٢٥ .

٥ً – رمم واصلحت زخارف السلاملك عام ١٩٣٣ م .

٦ – رممت القاعة في الحرملك عام ١٩٣٤

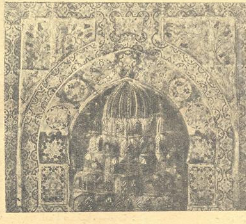
٧ – اجريت فيه اسبار عام ١٩٣٥ وظهرت بحيرة عليها شعار تنكز .

٨ – ظلت الاعمال تجري في اصلاحه، واصلاح سقوف الحرملك حتى عام ١٩٤٥ .

٩ – اغلق القصر في حزيران ١٩٤٥ بعد ضرب الفرنسيين دمشق بالقنابل .

١٠ – في مايس ١٩٤٦ اعهد الى مديرية الآثار القديمة بالاشراف على حراسته ، ويمكن زيارته بعد الحصول على اذن منها .

الخاتمة تلك لمحة موجزة عن هذا القصر ولعلك قد علمت شأنه مما قصصت عليك . فهو قصر وحيد . وانموذج من انموذجات الفن الاسلامي ، ومن المباني التاريخية التي تزهو بها دمشق . ومن المؤسف جداً ان يضيع آل العظم هذا الاثر البارع وان لا يبقى في ايدي السوريين .



انموذج من زخارف القصر

المصادر

اهم المصادر التي اعتمدنا عليها في بحثنا الموجز هذا ما يلي :

من المخطوطات العربية :

١ – النعيمي ، تنبيه الطالب والدارس (نسخة المجمع العلمي العربي بدمشق) .

٢ – العلموي ، مختصر تنبيه الطالب (نسخة المجمع العلمي العربي بدمشق) .

٣ – البديري الحلاق ، مذكرات يومية (نسخة دار الكتب الظاهرية) .

من المطبوعات :

١ – ابن كثير ، البداية والنهاية .

٢ – البدري ، نزهة الانام .

٣ – بدران ، مهذب تاريخ دمشق لابن عساكر .

٤ – دهمان ، جبل قاسيون

٥ – القلقشندي ، صبح الاعشى .

ومن الكتب الاجنبية :

1 — Ecochard, Palais Azem de Damas.

2 — Sauvaget, L'Architecture Musulmane en Syrie.

3 — Pauty, Les Palais et les Maisons du Caire à l'Epoque Islamique.

دمشق – صلاح الدين المنجد

خمرة الايام

☆

تلك التي صبَّت بكاسي نشوة　　كم ذقت طعم دمائها في كاسي

وصحوت في شوق على انفاسها　　ممزوجة في وهجهـا انفاسي

اضرمت نشوة خافقي في عينهـا　　وابحت في الحاظهـا احساسي

اشبعت شوقي من لظى اهوائها　　نهمٌ يغـالبني وجوع قاسي

جمعت ايامي وقدت لهـا المنى　　فاذا بدهريَ مـاثل لحواسي

امسي يطل على تلمظ خمرتي　　وغدي يتيهُ على ثمـالة طاسي

ويثور بينهما مشوقـاً حاضري　　والمغريات تثيره وتؤاسي

فيشوقني حتى الغواية لا يبيا　　لي في اندفاعة عهده المتناسي

ويغضّ من جوع ويجمح لاهيا　　يبني بنـائح مأتمي اعراسي

ولكم تحرت على تحرق حسه　　افواج ايام جنت اغراسي

طاوعتها لا اشتكي في سرها　　ما بحت من شوق ، لظاه اقاسي

هـذا الذي في خافقي كم يغتلي　　في خاطري دنيـا من الوسواس

لمـا رفعت عن الملام ميوله　　ابصرتهـا في أكؤس الجلّاس

فـاذا الذي اضمرته في ظنهم　　واذا الذي اخفيته في كاسي

ماكنت اعنى ان احاذر شكهم　　اثمُ الظنون تركته للنـاس

فنهبتُ بين عيونهم وظنونهم　　شوق الحيـاة وثورتي في باس

وغدي يجاذب حاضري اشواقه　　مهما طويت عنـانه بمراسي

يافا　　توفيق البازجي

مقدمة لدراسة الرمزية في الادب الجاهلي

بقلم عدنان الذهبي

☆



قارنا بين اسلوب الشعر الرمزي ، لاسيما الشعر الرمزي الحديث ، وبين اسلوب الشعر العادي — ونعني بالشعر العادي هنا الشعر الذي ليس رمزياً — تبين لنا كيف ان الرمزية في الشعر كانت ، بغاياتها التعبيرية العميقة ، قد طبعت اسلوبها الادبي بطابع خاص : فبدلت في اوزانه وفي قوافيه ، وهذا حين تحررت جمع الكثير من القيم الموسيقية ، كما بدلت في صوره وتشبيهاته واستعاراته ، وهذا حين اوغلت في الخيال ايما ايغال ، كما بدلت في غايته وهذا حين جعلت الشعر الرمزي ايحاء وتلقيناً بينما كان في العادة بسط حقائق او تصوير خلجات . . . ولاشك في ان الغموض الذي تُرمى به الرمزية هو نتيجة طبيعية لاختلاف هذين الاسلوبين . . . ونحن اذا سلمنا بان اسلوب الشعر العادي هو اقرب الى طبيعة الشعر وفنيته — وهذا لاعتدال الشعر العادي في مزج الالحان ولاعتداله في مزج الافكار والعواطف : بما يشعرنا تمام الشعور بتوازن المقومات النفسية فيه وهي الصورة والعاطفة والفكرة — نقول اذن اذا نحن سلمنا بهذا الامر بدا لنا بوضوح كيف ان الرمزية هي في الحقيقة خروج عن طبيعة فنية الشعر . وهذا حق ، ويجب ان نقره ، ولكن لالتجريح الرمزية بل لنلمس بايدينا ان الادب كأي كائن حي ، هو ايضاً عرضة للتطور ، حتى ولو كان هذا التطور على حساب توازنه الطبيعي . . .

والآداب قد توازنت فيها بصورة عامة هذه المقومات النفسية كما انها اضطرت في ظروف خاصة الى ان تطغى فيها احدى هذه المقومات ذلك الطغيان الذي هو سبب نشأة المذاهب الادبية المختلفة . . . ولكن بينما نجد العقلية الغربية — سواء الاوروبية الحديثة او الاوروبية القديمة — قد وعت فكرة المذاهب ، وبينما نجدها نفسها تعمل على ايجاد مذاهب ادبية جديدة ، نجد العقلية العربية في كل عصر تقدس قديمها الادبي كل تقديس ونجدها تقف في وجه كل مجدد ووجه كل جديد . ونحن لا يهمنا تعليل

١ — هل للجاهلية ادب رمزي ؟ .

٢ — الرمزية وفكرة السر في الجاهلية .

٣ — الرمزية وموقف الشعراء الجاهليين من ادواتهم التعبيرية .

هذه الظاهرة — ومن السهل تعليلها بطابع العرب وحياتهم الاجتماعية — بقدر ما يهمنا الوقوف على نتائجها : ومن نتائجها البارزة في ادبنا العربي خلو هذا الادب الضخم من المذاهب الادبية العالمية . . . وليس يعنيني ان اقول ان هذا من حسنات الادب او من سيئاته ، بل يعنيني ان اقول ان ادباءنا كلهم حتى المجددين منهم كانوا قد تقيدوا بالقديم كل التقيد ، وهم ان وجد فيهم من قد خرج على الالفاظ فلم يوجد فيهم من قد خرج على الاغراض القديمة . ولهذا كله جهل العرب المذاهب الادبية ، ولهذا ايضاً رأينا ادباءهم لم يجددوا الا في حدود الاساليب[1] ، بينما ظلت اغراض القديم ، قبل الاسلام وبعده ، وفي البادية وبين الحضر ، ظلت هي هي ، كما ظلت نفسها في كل عصر يودعها الادباء مزايا المذاهب الادبية كلها من اتباعية وابتداعية وواقعية ، ورمزية : فكل عصر ادبي في نظرنا هو عصر اتباعي ، ابتداعي ، واقعي ، رمزي . . . وان سألني سائل عن وجود ادب رمزي في الجاهلية بصورة خاصة ، مع ان الرمزية في الآداب الغربية مذهب معقد كل التعقيد قد تُوّجت به كافة المذاهب الادبية ، فاني اقول اني نقبت وبحثت فوجدت للجاهلية ادباً رمزياً كما وجدت لها ادباً واقعياً وادباً ابتداعياً وادباً اتباعياً ، ولكنه مبعثر هنا وهناك في قصائد مختلفة الاغراض قد جاء بها الشاعر عفواً . . .

اذن ليس من الغريب ان نقوم اليوم بدراسة الرمزية في الادب الجاهلي ممهدين بهذا السبيل لدراستها في بقية العصور الادبية . . .

والرمزية التي كانت في الآداب الغربية نتيجة عوامل ثقافية ارهفها العصر ، وعوامل مزاجية خلقتها نفسية الشعراء انفسهم ، يدور مفهومها حول فكرة « السر » الذي لا يمكن التعبير عنه . مثل ذلك ان بودلير

(١) راجع كتاب « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » وكتاب « الفن ومذاهبه في النثر العربي » للدكتور شوقي ضيف لترى كيف ان المذاهب التي وجدت في ادبنا هي مذاهب بلاغية لفظية لا مذاهب ادبية . . .

وفراين – وكلاهما عليل الجسم، ذو نفسية قتلها السأم (spleen) – كانا يشعران بالعجز عن تصوير خلجاتها النفسية الدقيقة تصويراً يمثلها على حقيقتها، وكذلك ملرمه فقد وقف عاجزاً عن التعبير عن افكاره (idées) التي تتأرجح في خلده، ثم لافورج الذي كان يمثل الفكر الرمزي فيما بعد قد عجز كل العجز عن ان يفهم الكون او ان يفهم النفس : ففي الكون كل شيء غير قابل للمعرفة (inconnaissable) كما ان النفس كلها لاشعور inconscience يتوارى ويهرب ... وهؤلاء الادباء كلهم ذهبوا ، بدافع من فكرة السر هـذه ، يرمزون الى خلجاتهم والى افكارهم والى معارفهم بهذه الرموز العديدة التي يهبها العالم الخارجي . وغني عن القول بعد هذا ان عصر هؤلاء الرمزيين ، القرن التاسع عشر ، هو عصر الفلسفة المثالية التشاؤمية وهو عصر اكتشاف اللاشعور وهو عصر الوضعيه (positivisme) فما هي فكرة السر في الجاهلية ، او بعبارة اخرى اي شوط قد قطعه الجاهليون في ميدان العلم والفلسفة ؟! وهل نجد فكرة السر في اديان الجاهلية اذا لم نجدهـا في انظمتهم العلمية والفلسفية ؟!.

اما الحديث عن الجاهلية وعن ادباء الجاهلية وعلمائها – ان كان لهـا علماء! – فهو يتطلب منا شيئاً من التدقيق ولا سيما فيما يتعلق بالبيئة وبالزمن . فلا شك في ان الجاهلية هو العصر الذي سبق الاسلام ، ولكن هذا العصر يطول ويقصر في منطقة من المنـاطق العربية دون اخرى حسب المعلومات التي بقيت لنا عن هؤلاء الجاهليين . فمثلا عرب الجنوب اليمنيون يرجع تاريخهم الى القرن الثاني عشر قبل المسيح وعرب الشمال يرجع تاريخهم الى القرن الثاني بعد المسيح وعرب اقصى الشمال يرجع تاريخهم الى القرن الثالث بعد المسيح ... ولذلك للاجابة على سؤالنا المذكور لا بد من الوقوف على كل من هذه البيئات الثلاث . ولنبدأ ببيئة الجنوب وبيئة اقصى الشمال المتشابهتين اللتين كانتا في الحقيقة بمعزل عن بيئة الشمال الادبية .

اما عرب اليمن فنحن لا نعرف عنهم الا انهم كانوا اهل حضارة ممتازة ، قوامها التجارة البرية والبحرية ومظهرها الرئيسي بذخ الملوك الاقطاعيين وترف الطبقـات آنئذ . ولا شك في ان تفشي العمران في هذه البيئة العربية ونجاح اساليب التجارة واساليب الملاحة واساليب الزراعـة يصح ان يكون دليلا صادقـاً – وليس عندنا دليل غيره – على تقدم بعض العلوم عندهم مثل الهندسة والري والفلك والزراعة وغير ذلك ... اذن قد وجد عندهم علم ولو انه علم غير نظري او انه كما يقال كان دخيلا على العرب : ولكن ما هي نظريات العرب فيه ، وماذا اكتسبوا من غيرهم وماذا اضافوا اليه ... كل هذا لانعرف عنه شيئاً الآن ، ومثل هذا القول يصح ان يقال في امارتي اقصى الشمال . واما الادب في هذه البيئات ، فالجنوب كان له لغة غير اللغة الشمالية ، كذلك اقصى الشمال فقد كانت له ايضاً كما يثبت هذا استاذنا احمد امين بك « لغة خاصة به »[1] سواء في امارة المناذرة او امارة الغساسنة .

وهكذا لم يبق ممن يمثل ادب هذه اللغة العربية الا عرب الشمال ، عرب نجد والحجاز الذين سندرس عندهم الآن ثقافتهم العلمية والفلسفية والفنية . ولا بد لهذا من استعراض بيئتهم وعصرهم : فامـا بيئتهم ففقيرة وفقيرة جداً لا يكاد انتاجها يذكر : لا من الوجهة الزراعية ولا من الوجهة الصناعية . وسكانها ابداً راحلون وهم ابداً ينشدون الماء والمرعى ويعيشون على شكل قبائل ولا يعتمدون على هذا المـاء ولا ذاك المرعى بقدر اعتمادهم على الغزو والسلب . والحكومة ان كانت في الجنوب وفي اقصى الشمال هي التي ترعى مصالح الطبقات فهنا لا توجد طبقات ولا توجد حكومة : فكلهم جنود وكلهم غزاة . الفرد هو الحكومة والفرد هو القبيلة يتعصب لها وتتعصب له ، ويحميها وتحميه ، حتى ان القبيلة بالنسبة لغيرها من القبائل ليست الا فرداً : فهي الجيش وهي الحكومة التي ترعى مصالحهـا ومصالح افرادها ... وامـا عصورهم فقد كانت سلسلة حروب وغزوات . حروب غايتها التحرر من نير عرب الجنوب الذين كانوا يستعمرون هذه البيئة التي هي الممر التجاري الوحيد بين الشمال والجنوب ، وغزوات اوجدتها بينهم مسائلهم اليومية كتنازع على مرعى او على غنيمة او غير ذلك مما لا حاجة الى الاطـالة فيه ... وهم في الحقيقة قد الهتهم بيئتهم تلك عن كل شيء الا عن معاناة الحياة فيهـا والا عن الاستعانة بالادب على معاناة هذه الحياة . فليس غريباً بعد هذا ان لا نجد عندهم علماً ولا فلسفة ...

فليس في الجاهلية علم ولا فلسفة بالمعنى الصحيح لان الطور الاجتماعي الذي كانوا فيه لا يسمح لهم بعلم ولا فلسفة . وكيف نريد منهم هذا وهم لما يزالوا يجهلون القراءة .

---

(1) راجع فجر الاسلام الطبعة الخامسة ص ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ .

والكتابة ، كما انهم ضعيفو التعليل[1] وانهم لا ينظرون الى الاشياء نظرة شاملة وهذا كله من ضروريات كل علم وكل فلسفة .

اما فيما يتعلق بفكرة السر فالجاهليون لا يعرفون عن المادة شيئاً ليعرفوا ما وراء المادة ، وهم انفسهم لم تسمح لهم الحياة ليغوصوا في انفسهم حتى نطلب منهم ان يقفوا على اللاشعور او اللاوعي . واما عالم السر فلم يكن لهم اية فكرة عنه . فهم لا يعدون الواقع المادي حتى في دياناتهم وعباداتهم : فآلهتهم حجارة او كواكب او جن ، كذلك « ما كانت صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » لا خشوع فيها ولا عبودية ، وليس دينهم في حقيقته الا جلب المنفعة او لدرء الضرر ، كما نرى هذا في تلبياتهم .. ولذلك فلا عجب ان تخلو دياناتهم ايضاً من الاسرار ومن الرموز التي نجدها في ديانات غيرهم من الذين عاشوا عيشتهم البدائية هذه . وقد لاحظ الذين درسوا المسيحية واليهودية في الجزيرة العربية ان هذين الدينين بالرغم عن عدم نجاحهما في الجزيرة فقد تجردا لما دخلا الجزيرة من كل روحانية وكل سر ورمز . والحقيقة ان العقلية العربية البدوية في تلك البيئة لا تستوعب الاشارات والاسرار .

وقد كان على هؤلاء العرب الجاهليين اذن ان ينتظروا الاسلام ليفتح امامهم آفاق هذه الاسرار التي يشير القرآن[2] الى انها موجودة في انفسهم ذاتها ان لم يكن في الكون الخارجي الذي عبدوه .

واما الادب انئذ فقد كان مادياً حسياً ايضاً . وليس يضير الرمزية ان تكون الجاهلية حسية مادية الى هذا الحد : فالرمزية فيها ليست مذهباً ولكنها خطرات مبعثرة هنا وهناك كما قلنا . واما الرمزية كمذهب فهي ما سنتتبع اثرها في العصور الاسلامية لنراها تتم في المفاهيم الصوفية وفي ادب المتصوفين ، ولا سيما بعد ان رأينا الاسلام يفتح لاول مرة في الجزيرة العربية ابواب هذه الرمزية على مصراعيها ...

بقيت لنا في هذه المقدمة مسألة اخرى يجب التعرض لها قبل الابتداء بدراسة الرمزية وهذه المسألة هي دراسة قيمة اداء التعبير في الجاهلية ودراسة موقف الشعراء منها ...

فالكلام حاجة اجتماعية ، ومن المسلم به انه بقدر ما تتعدد مرئيات الرجل في مجتمعه وبقدر ما تكون حياته الروحية غنية بقيمها بقدر ما تكثر المفردات للدلالة على هذه المرئيات وهذه القيم — ولسنا بحاجة الى ان نشير الى ان هنالك اشياء تكثر للدلالة عليها الالفاظ كما ان هنالك اشياء لا يوجد للدلالة عليها الا لفظها — ونحن اذا دققنا في مختلف البيئات التي طاف بها الشاعر الجاهلي ، كما اننا اذا دققنا في دراسة حياتهم الاخلاقية ودراسة عاداتهم وتقاليدهم ، في نطاق القبيلة للشعراء البدو وفي نطاق الحكومة والامارة للشعراء الآخرين ، كما اننا اذا دققنا اخيراً في دراسة اديان الجاهلية — السماوية وغير السماوية — رأينا ان الجاهلية ملأى بالمرئيات المختلفة وبالقيم الاخلاقية العديدة : الامر الذي كان سبباً لوجود تلك المفردات التي نجدها في الادب الجاهلي شعراً ونثراً . اما فيما يتعلق بهذه المفردات : فهي ، على كثرتها هذه ، قد كانت لها قيمتها التعبيرية[1] التي كان الجاهلي يشعر بها كل الشعور ...

ولذلك امسى من العيب عندهم ان يستعمل المرء لفظاً بدلاً عن لفظ او صفة بدلاً عن صفة ، ولذلك كان من الطبيعي ان نسمع طرفة بن العبد يصيح مستهزءاً بخاله المتلمس حين سمعه يصف جمله بصفة من صفات الناقة : « استنوق الجمل !! » .

فاللغة الجاهلية اذن في حدود الجاهلية واسعة ودقيقة . وهاتان الصفتان اذا اضفنا اليهما الصفة التي امتازت بها اللغة العربية على كثير وكثير من اللغات السامية القديمة وهذه الصفة هي المرونة في الاشتقاق والتصريف ، نقول اذن ان هذه الصفات كلها تدفعنا الى القول ان اللغة قد قامت في الجاهلية بدورها التعبيري على اتم وجه . وهذه ظاهرة اجتماعية هامة . ولكن هل وقف مفكرو الجاهلية على الشعور بهذه الظاهرة ؟ ..

لقد قرأت كل ما استطعت ان اقف عليه من شعر الجاهليين ، المنحول منه وغير المنحول ، فلم اجد مثل عنترة من يصور هذا الشعور الدقيق في مطلع قصيدته : «هل غادر الشعراء من متردم ؟» فالشعراء بشعرهم الذي كان كما يقول سيدنا عمر بن الخطاب «علم قوم لم يكن علم اصح منه» قد احاطوا بكل شيء ، ولم يغادروا شيئاً الا تكلموا فيه واسهبوا اسهاباً جعل المتأخرين امثال عنترة يحارون فيما يقولون ، وامثال زهير بن ابي سلمى يبوحون بالواقع ويقولون :

---

(١) راجع للوقوف على تفصيل هذا « فجر الاسلام » ص ٢٩ ، ٤٠ ، ٦١ ، ٦٢ .

(٢) مثل ذلك قوله تعالى : « او لم يتفكروا في انفسهم » . وقوله تعالى : « وفي انفسكم أفلا تبصرون » . وفكرة السر كثيرة الوجود في القرآن . « والله يعلم السر واخفى »

(١) والدليل الاكبر على هذا ما كان لاعجاز القرآن من الوقع في نفوس العرب .

مـا اراـا قول الا معارا
او معاداً من لفظنا مكروراً .

اذن لغة الجاهلية — والجاهلية التي ندرسها هي في الحقيقة غروب الجاهلية — لغة دقيقة وواسعة قد شعر بصفاتها هذه مفكروها . . . ولكن اذا كان الجاهليون قد شعروا بان لغتهم دقيقة وانهـا قد احاطت بكل شيء ، فـانهم لم يشعروا قط بان هنالك اشياء لم تتمكن لغتهم من ان تحيط بها او ان تعبر عنهـا ! ! ! وهم انفسهم حين شعروا بان لغتهم في سعتهـا ودقتها وقدمها قد نهض بهـا الشعراء ، ذهبوا يعبرون بها عن كل مـا احسوه او تخيلوه ، فقالوا الشعر في حالات عديدة منها ما يدعو الى الرمز ومنها ما لا يدعو . . . ولكنهم لم يفكروا قط في ان هنالك سراً لا يمكن التعبير عنه . . . وهذا كان نتيجة لفقدان فكرة السر كلها من الجاهلية كما رأينا هذا مفصلا .

ونحن في كل ما سبق كنا نتكلم عن الادب واللغة مجردين عن كل عامل تاريخي او اجتماعي ، واذا ادخلنا الآن هذه العوامل وجدنا ان هنـالك مسألة لا تقل اهمية وخطراً عن المسائل التي مررنا بها من قبل وهي مسألة توحيد اللهجات وتأثير هذا التوحيد في مجرى الرمزية .

فكافة اللغويين القدامى والمحدثين متفقون على ان اللغة التي نظم بها الشعراء الجاهليون شعرهم هي لغة قريش ، كما انهم متفقون على ان عدم ظهور اختلاف اللهجات القبلية في الشعر والنثر اللذين صيغا بلهجة قريش هذه كان بسبب طغيان هذه اللهجة وتغلبها على سائر اللهجات في العصر الجاهلي كما انهم متفقون ايضاً عـلى ان مكانات قريش في الجـاهلية كالمكانة الدينية والاقتصادية هي التي ساعدت لهجة قريش — وهي افصح اللهجات — على الانتشار والغلبة . . . ونحن من هذا كله بين امرين اما ان يكون تغلب لهجة قريش كان عن وعي من بقية القبـائل العربية ، او ان تكون تلك اللهجة القرشية قد تغلبت بلا وعي منها ومن سائر القبائل على اللهجات العربية الثانية . . . وفي كلا الحالين نرى ان الامر لا يوافق روح العصر الجاهلي ولا التاريخ الجاهلي نفسه .

فلا شك في انه لو فضل العرب القدامى لهجة قريش على لهجاتهم لوجد هنالك من جرب ان يدافع عن لهجتـه ، ولوجدت ردود على اقواله ومناقشات مما ينتهي حتما بايجاد فلسفة كل لهجة : وهذا ما لم نسمع به قط حتى ولم نسمع بان القرشيين فاخروا بلغتهم . اما في الحالة الثانية ، فنحن نحب ان نفهم كيف ومتى تغلبت لهجة قريش وهي لهجة قبيلة من قبائل الحجاز العديدة على اللهجات العربية الاخرى عن لا وعي منها ومن القبـائل الاخرى المنتشرة في الجزيرة وفي الهلال الخصيب ؟ ! . . . وعلى كل حال سواء أكان تأويل كلام اللغويين هو ان اللهجات القبلية قد امحت امـام اللهجة القرشية عن وعي منها او غير وعي ، فنحن لا نؤمن قط بان لهجة قريش كانت قد تغلبت على اية لهجة اخرى في الجاهلية ، كما اننا لا نؤمن بان تكون اللهجة القرشية هي اللغة الادبية التي كان يستعملها الشعراء الجاهليون . ولنا في المسألة رأي اوحته الينا هذه الدراسة نلخصه الآن بان مسألة توحيد اللهجات في الجاهلية انما هي خرافة اسلامية : فاللهجات لم توحد ولهجة قريش لم تتغلب على احد ، وانما الشعراء والادباء وحدهم كانوا يتخلون عن لهجاتهم المحلية ليقرضوا شعرهم او لينثروا خطبهم باللغة الادبية التي استطعنا ان نثبت بالادلة التاريخية والفنية انها اقدم من لهجة قريش . . . وتكفينا الآن هذه الاشارة لنقول ان الجاهليين لم يستطيعوا ايضاً ان يفلسفوا لغتهم : وكان عليهم من جديد ان ينتظروا الاسلام ليفتح امامهم آفـاق هذه الامور الاجتماعية كلها ، وليقول لهم ان لغتهم العربية هي لغة الابانة[1] والافصـاح ، وليدفعهم فيما بعد وبمناسبات[2] عدة الى الوقوف على ميزات لغتهم ولهجاتهم . . .

وهكذا اذن نستطيع الآن ان نبدأ بدراسة الرمزية الجاهلية بعد ان استعرضنا الجاهلية ثقافيا واجتماعيا ودينيا وفنيا : واما امزجة الشعراء ونفسياتهم فهذا ما سندقق فيه في عدد مقبل . . . فالى اللقاء على مائدة رموز امرىء القيس .

دمشق — عدنان الذهبي

---

(١) الآيات التي يمدح بها القرآن اللغة العربية بانها (لسان مبين) عديدة . كذلك الايات التي يمدح الله بها القرآن بانه (لسان عربي مبين) عديدة . وهذه الايات كان لها اثرها في ايقاظ الجاهليين . واما قصة الوفود العربية عند كسرى وتعيير كسرى اللغة العربية بانها اشبه بالحجارة وردهم بانها اشبه بالزئير فقد مرت دون ان نعمل شيئاً . . .

(٢) من هذه المناسبات وجود الفاظ اعجمية في القرآن (راجع تفسير الطـبري الجزء الاول طبع بولاق من ص ٦ الى ص ٩) ومن هذه المناسبات ايضـا ذلك التبلبل الذي كاد ينشأ بين الصحابة في عهد النبي وبين جيوش المسلمين بعد وفاته . وسبب هذا التبلبل هو اختلاف القراءات لاختلاف اللهجات (راجع المصدر نفسه من ص ٩ الى ص ١٣) ومنهـا ايضاً الفتوحـات المستمرة والاحتكـاك بالاعاجم . . . وغير ذلك مما سيكون لنا عود عليه ان شاء الله . . .

طرائف من عالم «السريالزم»

سلفادور دالي

ترجمة وتلخيص : حسن زكريا



من الظواهر(*) البارزة التي استجدّت خلال السنوات الاخيرة ، وخصوصاً في امريكا ، هي تلك الاشباح الغريبة والصور المركبة التي تطل بملامحها المثيرة لكثير من الحيرة والدهشة والتساؤل الحاد ، وتطالع المار من واجهات المسارح ونوافذ المخازن وعلى غلُف المجلات او من بين صفحاتها . من هذه الصور الشبحية اذرع مبتورة او اجسام انثوية مغروزة الى نصفها في كثيب من الرمال ، أو اعمدة اثرية محطمة ، او قطع من الخشب العائم ، او عيون بشرية بؤبؤها ميناء ساعة ، او مناضد ذوات سيقان نسائية عليها جوارب من «النيلون» . وهذا العالم الذي يضم جميع هذه المشاهد الخيالية التي انعدم الانسجام الطبيعي بين اجزائها ، هو عالم « السريالزم » المخبول . لقد تجلى هذا العالم ، اول ما تجلى ، عندما اكتشف فرويد ، العقل الباطن ، وبرهن على ان في الجواثيم (كوابيس النوم) التي تتراءى للنائم في الليل ، من الادراك اكثر مما في تفكير الواعين المدركين . ولكن هذا العالم الجديد ظل بعيداً عن ان تقتحم اسواره ، او ترتاد جنباته ، الى عام ١٩٠٢ ، وذلك عندما تبنى زمرة من الكتاب والرسامين الفرنسيين في باريس ، نظريات فرويد ، فهجروا عالم الواقع بالمرة ، وابتعدوا في تفكيرهم عن الارض ، وحوّموا في سماوات الخيال . ان هؤلاء السرياليين الباريسيين لم يعودوا يولون عالم الواقع اهتمامهم ، بل شرعوا يرسمون الاحلام والتهاويل والهذيانات . اما مواطنوهم ، فلم ينظروا اليهم الا كما لو كانوا ينظرون الى « بطات » غريبة النوع . بيد ان الصور الغريبة التي ابدعتها عقول السرياليين الباطنة ، قد سحرت ألباب الجميع ، حتى عامة الناس منهم . ومن الملاحظ ان السريالية التي انبثقت من اشد ابراج الفن العاجية سراً وخفاء وغموضاً ، قد اصابت نجاحا تجاريا كبيراً .

والشخص الذي يكمن وراء هذا النجاح اكثر من غيره هو سلفادور دالي **Salvador Dali** ، الفنان الاسباني الوديع الخلق الناعس الشعر الذي يعيش في الولايات المتحدة منذ اكثر من عشر سنوات ، والذي عرض فنه الجديد بادىء الامر في ملاحق الاحد للصحف اليومية ، والذي افلح فيما بعد ان يجعل تهاويله المرسومة مألوفة لدى الفرد الامريكي اكثر من لوحات بقية الرسامين المعاصرين .

ان دالي ليس سرياليا في رسومه فحسب ، فلقد لعب دور السريالي في حياته اليومية الى درجة كان يلوح معها في بعض الاحايين انه قاب قوسين او ادنى من الجنون الحقيقي . وهو يعد في الواقع : المجنون الامريكي الذائع الصيت رقم (١) . ان سيدات الطبقة العالية لتدفع احداهن خمسة وعشرين الف دولار ثمنا للصورة التي يرسمها لهن ، ويظهرهن فيها وقد تحلين بالسحالي وتتوجن باوراق الشجر بدلا من الشعر . ويتبارى مخرجو السينما ومدراء المسارح وصانعو الازياء النسائية ، الى الظفر بدالي ، والى استخدامه في قلب ثمرات اعمالهم الى مجزرة عقلية . ومما يدل على شعبيته الواسعة ، هو ان الكتاب الذي الفه عن نفسه ودعاه بـ «حياة سلفادور دالي السرّية» قد طبع في عام ١٩٤٢ فقط اربع طبعات ، كما ان الاعيبه واعاجيبه قد شغلت حقول الصفحات الاولى من الجرائد طيلة حقبة من الزمن ، وجعلته معروفا لدى الملايين ممن لم يقربوا في حياتهم من اي متحف من متاحف الفنون الجميلة . ومع هذا ، فان رفاقه من السرياليين لم يحضوه ثقتهم ولا اولوه رضاهم ، كما ان اغلب زملائه من اهل الفن قد اعتبروه مهرجا لا يحجم عن القيام باي عمل من الاعمال في سبيل ضحكة او فكاهة ، حتى ولو كان ذلك على حساب فن رديء . وقد قال عنه مرة ، ماكس ارنست ، شيخ السرياليين بانه : بورقراطي السريالية وعربيدها ! » ومع ذلك ، فان معظم الفنانين ، يقرّون ، بالرغم من احتقارهم لسلوكه الفني ، بان دالي هو من اطوع الرسامين المعاصرين ريشة واغزرهم موهبة ، كما ان آثاره الفنية الاولى تحتل مكانة مرموقة بين طليعة مجموعات الفن الحديث . وقد لا يعترف التاريخ بدالي كفنان مبرّز ، ولكن لا بد ان يعترف به كشخصية فذة . ان موهبته الاولى هي قدرته

(*) هذا المقال هو ملخص بحث كتبه وينثروب سارجنت ونشره في مجلة « لايف » الامريكية في عددها الصادر في ٢٦ ايلول ١٩٤٥

العبقرية على «الاعلان» . والتاج الوحيد الذي يعلن عنه على الدوام هو : سلفادور دالي ! وليس من الغريب بعد ، ان تكون نظرة دالي الى نفسه هي نظرة الرضى والقبول . فقد قال يوماً « اسعد ما يلقاه فنان في حياته ، هو ان يكون اسبانياً اولاً ، وان يدعى سلفادور دالي ثانيا . وقد حدث كلاهما لي . فمنذ عام ١٩٢٩ خامرني شعور واضح بعبقريتي . بيد اني اعترف بان هذه العقيدة ، وهي تتغلغل عميقا في جوانحي على مر الزمن ، لم تستفز في نفسي اي احساس بالسمو أو التعالي . ومع هذا فعلي ان اصرح ايضاً بانها تمنحني ، بين آن وآخر ، شعوراً طافحاً باللذة والحبور » .

لقد اورف هذا الاعتزاز بالنفس عند دالي ، منذ ان كان طفلا يؤثر الوحدة ويعزف عن اللعب ويأبى الذهاب الى المدرسة . وكان ولعه يومذاك هو الرسم ، وقد غذى هذا الولع في نفس الطفل ، والده الملتحي ذو الفكر الرحب ، الذي كان قد اتخذ من كارل ماركس وروبسبير إلهين له . كان هذا الوالد حريصاً على ان يحيط طفله بروائع المصورين العظام وان يشجعه على تنمية مواهبه . وكان دالي يقرأ بشغف لا مزيد عليه ، مؤلفات الفيلسوف الالماني «كانت» بالرغم من انه لم يكن يفهمها ايضاً ! وكان ملاذه الاثير لديه ، هو اناء الغسيل ، حيث كان يقبع فيه اياماً متتابعة ، وعلى رأسه تاج من الورق المقوّى ! .

وفي مدرسة الفنون الجميلة بمدريد حيث ارسل لدراسة الرسم ، حوّل دالي ولاءه العقلي من «كانت» الى « فرويد » كما استبدل برفائيل رودولف فالنتينو ، مثالا له في اناقة الهندام ، ونبذ الاساليب المعتادة في الرسم ، واتخذ لنفسه اسلوباً جديداً . ذلك انه كان يقف على مدى ذراع من اللوحة ويرشقها بالاصباغ رشقاً من هذا البعد . وفي احدى الامتحانات العامة حول تاريخ الفن ، نهض دالي واقفاً ، وقد عصفت في جوانحه عوامل التحدي والازدراء ، واشار الى لجنة الممتحنين قائلا « يؤسفني جد الاسف ان اقول بأني ، اوفى ذكاء من هؤلاء الاساتذة ، ولهذا فاني ارفض ان اؤدي الامتحان امامهم » وبعد ان طرد من مدرسة مدريد اخذ سبيله نحو باريس ، حيث كانت الحركة السريالية تفتح براعمها عن دين جديد من اديان الفن والجمال .

هذا واذا كان ثمة شخص متهيء بالفطرة للتسربل بمسوح السريالية ، فهو سلفادور دالي . لقد كان دالي ، قبل ان يعتنق السريالية في فنه ، سريالياً خالصاً في عاداته وتصرفاته . ولهذا نجده قد رمى بنفسه في احضان السريالية بحماس اثار الدهشة عند رفاقه من المدريديين وقد ادت به سرياليته الى نوبات من الضحك الجامح جعلت اصدقاءه يشكون كثيراً في سلامة عقله . ولم يشف من هذه النوبات الا عندما وقع في حب زوجة «بول الوارد» ، احد زملائه السرياليين ، الذي اضطر اخيراً الى تطليقها لتستطيع الزواج من دالي . ومن الطريف هنا ان دالي قد لجأ الى طريقة مبتكرة للتأثير على زوجته في بداية غرامها ، ذلك بان توّج نفسه ليلة الزفاف بالازهار ، وصبغ نفسه بالدم ودهن بدنه من الرأس الى القدم بغراء السمك . وقد بقيت « كالا » هذه ، ذات الشخصية القوية الواعية ، زوجته المفضلة منذ ذلك اليوم .

فلسفة « الجنون السريالي »

ان الفلسفة التي دفعت بدالي الى هذا الحماس المفرط لم تكن مجرد فلسفة مخبولة كما يفترض البعض . فلقد كان ثمت ، ولم يزل ، نظام متسق النهج في « الجنون » الذي تمارسه السريالية ، كما ان السريالية قد ابدعت قدراً كبيراً من الادب المثير والفن الساحر . زد على ذلك ان هناك زمرة من الاعلام اللامعين — كبيكاجو وجيرترود شتاين وجيمس جويس ، وتوماس مان وفرجينيا وولف ويوجين اونوئيل — اما انهم قد انغمروا في صميمها او تأثروا الى حد بعيد بنظرياتها . وقد نادى كل من اندريه بريتون وهو فيلسوف فرنسي وماكس ارنست وهو رسام الماني ، وهما منشئا الحركة السريالية ، بوجوب التراجع عن عالم الحقائق الحقيرة ، عالم ما بعد عام ١٩٢٠ ، واهابا بلزوم العودة الى عالم الاحلام الفرويدية ، عالم العقل الباطن . وقد نوها ايضاً بان الناس يقضون في الاحلام نفس الوقت الذي يقضونه في اليقظة تقريباً ، وان عملية التفكير غالباً تنبثق من العالم الاسفل ، عالم الاحلام ، ثم يتولاها العقل الواعي فيما بعد بالصقل والتهذيب ويدفعها في مجرى التفكير المنطقي . ولهذا فهما لا يريان ثمت من مبرر لامتناع الفنان عن رسم احلامه ، او لاحجام الكاتب عن الانتفاع بذلك التسلسل الغامض الذي تتعاقب فيه الافكار وهي بعد فجة ناقصة التكوين ، تعاقباً متراخياً سائباً في احلام يقظته . وقد حاول السرياليون ان يمزجوا بين عالم الاحلام وعالم اليقظة ، وان يكشفوا عن الجذور الموهومة التي تنمو منها الافكار قبل ان تبلغ مرتبة المنطق الواعي .

هذا وفي وسع معظم الناس ، ان يجدوا ، اذا ما اخذوا انفسهم بشيء من التحليل ، بان الاحلام التي تتراءى لهم ، والكوابيس التي تجثم على صدورهم في بعض ساعات النوم ، غالباً تحاكي باشكالها

الرسوم السريالية . كما ان كثيراً من الناس ايضاً يملكون حوافز سريالية معينة، كأن تنساب الى نفس احدهم رغبة مفاجئة في لكم جار له، او ان يجعل من نفسه هزءة بصورة من الصور . وهذه هي بعض الظواهر العامة لما دعاه فرويد بالأيد (Id) او اللاشعور . ولكن في الحين الذي يواجه الناس فيه هذه الحوافز السريالية بالضحك والعبث وينسونها وشيكاً، او يذعنون لها في احوال السكر، فان السرياليين يتعهدونها بكل رزانة ويرعونها بكل وقار . لقد كان مثل هذا التسيب العقلي المقصود بالنسبة الى دالي، حالة معتادة من احوال الفكر على الدوام . وكان من اثر مالديه من مواهب فطرية في دحر غارات المنطق السليم انه صار، ابرهه من الزمن، اهول السرياليين مطلقاً واعنفهم منهجاً والهبهم حمية . وفي الوقت الذي لا يكون دالي مشغولا فيه برسم الصور او بعرضها تراه منهمكا في هواه المستديم الذي لا يفارقه . في ان يعرض « سلفادور دالي» على الناس . ففي زيارة له الى برشلونة القى محاضرة على جمع من الفوضويين، وقد شدّ رغيفا من الخبز الى رأسه . وقد بلغت هيئته درجة من الغرابة بحيث اغمي على بعض المستمعين . وفي زيارة اخرى له الى لندن، القى محاضرة فيها وقد ارتدى جهازاً للغوص، وجر وراءه زوجا من كلاب الصيد . اما المستمعون، الذين لم يتبينوا صوته في الخوذة المعدنية، فقد حيوه بعاصفة من الحماس والتصفيق . وقد اشتد ذلك الحماس بوجه خاص عندما حاول بعض اصدقائه بجد بالغ ان يرفعوا الخوذة عن رأسه بعصا من عصي البليارد وبمطرقة حديدية، وقد كان جدهم حقيقياً وليس مصطنعا، ذلك ان جهاز التهوية في الخوذة كان قد توقف، فاشرف دالي بذلك على الاختناق .

اما عقيدة دالي السياسية، فقد كانت كفنه، متنوعة الاصول وسريالية المنزع وفيها للخيال نصيب كبير . لقد كان دالي يجمع بين اعجاب عظيم بالفنسو ملك اسبانيا، وبين اعجاب عميق بروسيا الشيوعية وبين افتتان فطري بأبهة الكنيسة الكاثوليكية وفخفخة مظاهرها، وبين احتقار شديد لرجالات المجتمع، وبين احتقار لا يقل عنه لما يدعوه السرياليون بـ « الغوغاء » . ان دالي ولو انه كان يحمل صورة « لنين » في جيبه سنين عديدة، الا انه غالبا ما اتهم بكونه فاشياً، ولو ان هذه التهمة كانت تفتقر الى الدلائل القوية .

اما بقية السرياليين من رهط دالي، فقد شرعوا يتبرمون به وبتصرفاته الشاذة . فان هؤلاء السرياليين الذي تعاهدوا على الا ينظروا الى اي من الامور الجدية، نظرة جدية، يتطلعون الى الحركة السريالية بجد بالغ . وقد خامرتهم الشكوك بان دالي لا يشاركهم في شعورهم هذا، ولا يزاول السريالية بقدر كاف من الجد . ولا غرو ان تجدهم بعد، يقطبون اساريرهم امام سعيه للشهرة الرخيصة، ويزدرون نجاحه التجاري . وقد بلغ اخيراً من تبرمهم بدالي ان اصدر ضده زعيمهم الفلسفي اندريه بريتون قرار الحرمان وصرح بريتون بعد ذلك « ان ما يفعله دالي لا علاقة له بالفن مطلقاً . واسمه الصحيح يجب ان يكون افيدا دولارس « Avida Dollars » . وهو جناس مقلوب لاسم سلفادور دالي ومآله ان يكون المرء شرهاً للدولارات » .

وبالرغم من الصبغة المسرحية التي يتسم بها كثير من مظاهر حياة دالي العامة، فانه يلوح الى ذلك كما لو كان رجلا جديا تمام الجد . انه انسان شاذ، عميق الشذوذ، وقد اعانته الفلسفة السريالية على خلق المبررات لشذوذه هذا، كما انه جعلها الى هذا وسيلة من وسائل الربح . وفي الحين الذي يسعى فيه اغلب الناس، لحسن الحظ، الى ان يكونوا عاديين في سلوكهم ومنسجمين مع العرف العام على قدر الامكان، نرى دالي قد عكس الآية تماما . وقد اشار هو نفسه الى هذه الناحية في كتابه : حياتي السرية . « لا افهم لماذا يحرص الناس على ان يكون سلوكهم في الحياة بمثل هذا الانسجام الاجتماعي الكبير . خذ مثل هذا الشيء البسيط، وهو ان يحاول المرء التسلي بأخراج القطار عن السكة، والى قلبه في الهاوية، وفكر في آلاف الكيلومترات من الخطوط الحديدية المنتشرة فوق ارجاء الارض ... واستعرض عدد الذين تنزع بهم الرغبة في مشاهدة القطار وهو يحيد عن الخط ويهوى على الارض، وتبين كم من اولئك قد حققوا رغبتهم تلك بالفعل انهم لا شك نفر تافه العدد لا يستحق الذكر . كما اني لا استطيع ان افهم لماذا لا يبتكر احد الناس جهازاً لتوليد المطر الاصطناعي وينصبه في سقف سيارات الاجرة، فيرغم الركاب على ارتداء « الممطرات »[1] حينما يكونون في السيارة، في الوقت الذي يكون الجو في الخارج صاح والشمس طالعة . كذلك فاني لا افهم ايضا لماذا لا يأتيني نادل المطعم وقد طلبت منه ان يحضر لي طبقا من « الاربيان »[2] المشوي « لماذا لا يأتيني بتليفون مطبوخ ... »

الموصل — حسن زكريا

(١) الممطر : كلمة وضعها المجمع اللغوي لتؤدي معنى « المشمع » الواقي من المطر .

(٢) الاربيان . lobster هو نوع من جراد البحر .

فؤاد بليبل في « اغاريد ربيع »

بقلم عيسى ابرهيم الناعوري

☆

فؤاد بليبل شاعر احببته ، او على الاصح احببت شعره ، منذ ان قرأت له اول قصيدة رأيتها من شعره الرائع في مجلة « الرسالة » عام ١٩٣٩ ، وهي « النائح الشادي » التي يستهلها بقوله :

كف النواح ، فقد اثرت توجعي — ان الذي ابكاك مزق اضلعي
يا نائحاً في الدوح يندب حظه — دع عنك لحن اليأس واهجره معي
وارقص على الغصن النضير مرجعاً — في كل مورقة وروض ممرع

والتي يقول فيها :

واذا ظمئت ولم تجد لك منهلاً — عذب المياه كصافيات الادمع
فاطو الضلوع على الصدى او مت به — حراً ابي النفس غير مروع
للموت خير من ورودك موردا — ولغ الكلاب بمائه المتجمع
من كان لا يرضى المجرة مشرباً — هيهات يرضى كدرة المستنقع

ويقول فيها ايضاً :

ولقد أعاف الشيء مع اني به — كلف ، شديد الوجد صعب المنزع
واعود منه وملء نفسي شهوة — وكما علمت تعففي وترفعي
كم منهل يممته متجرعاً — سقط الذباب به فلم اتجرع

ومنذ ان قرأت له هذه القصيدة الرائعة ، ايقنت ان هذا الشاب قد برز فجأة من عالم الظلام ، الى حيث تبوأ مكانه بين كبار شعراء هذا العصر ، في فترة قصيرة جداً . فشعر فؤاد بليبل يصدر عن قلب رقيق ، وشعور مرهف ، وخيال بعيد موهوب . فهو مصور صادق التصوير لخلجات قلبه ، بارع كل البراعة في اختيار الفاظه وتعابيره ، مبدع في التحليق بشعره الى الذروة التي اختارها له . وعلى الرغم من ان عمره لم يكد يزيد على عمر ازهار الربيع ، فقد كان في الرعيل الاول من الشعراء المبدعين ، ذلك لانه كان شاعراً حقاً ، والشاعر الحق يعرف كيف يفسح لنفسه سبيل المجد في اقصر حين .

اما سيرة فؤاد فنستطيع ان نلم بها إلماماً عابراً من مقدمات ديوانه « اغاريد ربيع » الثلاث ، التي كتبها جامع الديوان : السيد ميشيل قسطندي ، والشاعر خليل مطران ، والاستاذ محمود غنيم ، ومقدمة هذا الاخير تفسر لنا الكثير مما نراه في شعر فؤاد من تمرد وثورة . ففي الديوان قصائد كثيرة ، ما كنا لندري السر في عمقها وقوتها ، لولا ان كشف لنا غنيم عن حياة شاعرنا البوهيمية المنطلقة ، التي لا يردعها عرف ولا تقليد ، ولا تتقيد بواجبات ، او تبالي بمسؤولية .

والواقع اننا اذا نظرنا الى سيرة هذا الشاعر من الناحية الخلقية المجردة ، على ضوء كلام محمود غنيم ، وجدنا في اخلاقه ما يدفعنا الى عدم الاهتمام بشاب مثل هذا فاسد الاخلاق ، يجعل من احضان المومسات مسرحاً لشاعريته المتمردة ، وهو ذو زوجة ، اما اذا نظرنا اليه من الناحية الشعرية وحدها — وهي التي تهمنا الان — فاننا نرى شاعرية متفجرة ، تفرض نفسها فرضاً ، وشعراً عالياً يدل على ان صاحبه « كان في طريق العبقرية لو فسح له في الاجل » ، كما يقول خليل مطران .

هذه قصيدته « المنبوذ » مثلا ، التي نشرت اول ما نشرت في مجلة الرسالة ، ثم تلقفها من بعد ذلك عدد من الصحف في مختلف الاقطار العربية . لقد كانت هذه القطعة جديدة رائعة ، يتجلى فيها صدق الاحساس ، وصدق الفن ، فهي صورة رائعة كل الروعة وصادقة كل الصدق لذلك المنبوذ الشريد في حياته الواقعية ، فلو وجدت رساماً ينقل الفاظها الى خطوط والوان ، لبرزت من تلك الخطوط والالوان صورة حقيقية لذلك المنبوذ الذي ينقم عليه المجتمع ، ويطارده ، ولا يرحم بؤسه . ففيها يقول الشاعر :

جائع لفه الضنى برداثه — اين نار الجحيم من احشائه؟
لفظته الحياة ، فهو شريد — يصل البؤس صبحه بمسائه

شاحب الوجه ناحل الجسم طاو ... تتمشى الاوصاب في اعضائه
وعلى جسمه بقايا رداء ... تتبدى العظام من اجزائه
باهت اللون مثل بشرته شكلاً ، يضم الشقاء في انضائه
غائر المقلتين اضحكه الجو (م) ع ، واذكى الاوار في امعائه
كلما شام بارقاً من رجاء ... فجع اليأس قلبه برجائه
كلما هز للزمان قناة ... حطمتها الايام في احشائه
انكر الناس ما يقاسي وقالوا : ... مجرم يخدع الورى بريائه
نبذوه ، فلا يشارك حتى الكلاب فيما يعافه من غذائه

وهكذا يمضي في قصيدته ، حتى يختمها على ثمانية واربعين بيتاً من الشعر الانساني الرائع ، الذي يترك في النفس اعمق الاثر ، لانه وليد شعور عميق ، واحساس نبيل .

وماذا اقول في قصائد الديوان الاخرى ، تلك القصائد التي تصور بصدق واخلاص اشياء مما في نفس ناظمها ، كما تصور بصدق واخلاص ايضاً بعض نواحي مجتمعنا الذي يكثر فيه الفساد ، ويندر الصلاح . وفي هذه القصائد شاعرية متدفقة فياضة .

ونحن اذ ندرس مجموعة القصائد التي يضمها ديوان « اغاريد ربيع » ، لا بد لنا من تقسيمها الى ابواب متفرقة ، وهذه الابواب هي : ١ : الاجتماعيات ، ٢ : الوجدانيات ، ٣ : الوطنيات ، ٤ : الحكم .

وتحت الباب الاول — اي الاجتماعيات — نستطيع ان ندرج احدى عشرة قصيدة ، اهمها : المنبوذ ، ثائرة ، ابنة العار ، النائح الشادي ، بين الكأس والوتر ، بين عهدين ، ودمعة فابتسامة . وفي القصيدة الاولى منها — أي المنبوذ التي قدمنا بعضها فيما تقدم — صورة انسانية رائعة . واما القصائد الست الباقية ففيها صور اختلسها الشاعر من تجارب حياته . واغلب هذه القصائد كان منشوراً في « مجلة الشؤون الاجتماعية » في مصر وهي تدور على جماعة المومسات اللواتي احرق الشاعر في احضانهن زهرة عمره ، فراح يصف حياتهن وشعورهن في شعر لا نغالي اذا قلنا انه لم يقل مثله شاعر عربي آخر من حيث العطف ، وروعة التصوير ، وحب الاصلاح .

وتحت الباب الثاني — اي الوجدانيات — تنضوي سبع عشرة قصيدة ، فيها الغزل ، وفيها الالم ، وفيها الامل ، وفيها صور لمختلف احاسيس الشاعر بالحياة . واهمها : بنت احلامي ، طيف الشك ، طريد الذكريات ، بين السهد والكرى ، صحوة قلب ، عود على بدء ، خلوة الى نفسي ، وانا ، وهذه القطعة الاخيرة هي من اواخر قصائده ، وفيها شعور مبهم باقتراب الاجل ، ولذلك تشيع الكآبة في الفاظها ، وتترنح في سطورها اشباح الموت ، ففيها يقول الشاعر :

انا ، من انا ! يا للتعاسة ! من أنا ؟ شبح الشقاء !
بل زهرة فواحة ... عبثت بها ايدي القضاء
عند الصباح تفتحت ... وذوت ولم يأت المساء
وطغى الفناء على الشباب فغاله قبل الفناء
قد حولوا عنها الغدير فلا خرير ولا رواء
فذوت على اكمامها ... عطشاً ، وبعثرها الهواء

والذي ينعم الفكر في هذه القطع الوجدانيه كلها ، يرى انها ظلال تنعكس عن حياة الشاعر الحائرة المتألمة ، التي تبحث عن السعادة ، وعن الارتواء ، ولكنها لا تصل الى شيء ، فهي ابداً غرثى الى الحب ، والى الامتلاء ، والى الرضى والسعادة ، وهي ابداً تحن ولكن الى شيء مجهول لا يحمله ظهر الارض ، الى شيء يرضي ما في طبيعة الشاعر من تحرر وانطلاق ، ويروي ما في نفسه من فن وشاعرية ، ويوائم بين نوازعه المتحررة ، الباحثة عن اللذة خارج الحدود والقيود ، وبين ما تفرضه حياة الاجتماع من حدود وقيود لا بد منها لينسجم الفرد في المجموع ، وليعيش الكل الى جانب الكل ، مقدماً شيئاً من التضحية ، ليظفر بقسط من السعادة لان الذي يريد ان يسعد في الحياة ، لا بد له من ان يحسب حساباً لسعادة الآخرين . وما ابعد الشاعر الذي يقول :

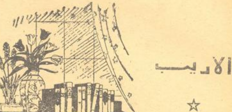
حدثونا عن الزواج حديثاً ... حسن السبك ، شائق الاقوال
فاخذنا ببارق من سناه ... وسحرنا بمنطق ختال
فوقعنا في ما خشينا ، وكنا ... عن مراميه في غنى واعتزال
فاضطررنا الى الخضوع ، وبؤنا ... منه بالهم والأسى والنكال
قد طمعنا في كل شيء رخيص ... ففجعنا بكل شيء غال

اقول ما ابعد الشاعر الذي يقول هذا عن ان يجد السعادة في هذه الحياة ، التي فجعته بكل شيء غال ، كما يقول هو نفسه .

وتحت الباب الثالث — اي الوطنيات — تندرج خمس قطع : اربع منها ترفرف همساتها على منابت الارز في حضن الجبل الاشم ، والخامسة وطنية عامة . وهذه القصائد الخمس هي : دستور لبنان ، صيف لبنان ، دمعة وفاء ، ذكريات ، والى المجد . وفي القطع الاربع الاولى يشيد الشاعر بجمال موطنه الاصيل — لبنان — ويغضب بإباء ، وعزة لكرامته التي يستبيح الغريب حماها ، ويخضعها لمشيئته ، بينما ابناؤه راضون عن ذلك الذل ، وبه قانعون . وهي انفاس من الوطنية الصارخة النازعة الى فك الاغلال ، واطلاق اجنحتها

الاديب

☆



— لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير)

— تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :
في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة لبنانية
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات
ونصف ترسل حوالة بريدية دولية اوحوالة على احد المصارف

— المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

لدى الادارة مجموعات من الاديب تطلب بالثمن التالي :
السنة الاولى ١٩٤٢ ٣٥ ليرة او ٤ جنيهات انجليزية
« الثانية ١٩٤٣ ٢٥ « او ٣ « «
« الثالثة ١٩٤٤ ١٥ « او ٢ « «
« الرابعة ١٩٤٥ ١٥ « او ٢ « «
ويحسم ٢٠ بالمئة لمن يطلب الثلاث مجموعات الاولى معاً

○

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

◆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت — لبنان

للحرية . ففي قصيدته « دستور لبنان » يرسل الشاعر شواظاً من نار قلبه على ابناء لبنان ، الذين يراهم يغطون في نومهم ، بينما يعيث الاجنبي في ديارهم فساداً ، فيهتف قائلاً :

لا تبك قتلاه ، ولا تترحم ... احياؤه اولى بدمعك فاعلم
وطن توطنه الشقاء فلم يدع ... دارا من العيش الرغيد بمغنم
أنى اتجهت شهدت مصرع بائس ... وسمعت أنة يائس متظلم
ورأيت للظلم المجسم والاسى ... صورا تذيب حشاشة المتوسم

وهكذا يمضي في قصائده الوطنية ، نافثاً نيران نقمته على الظلم ، وداعياً ابناء قومه الى الانتفاض من سباتهم الذليل .

واما الباب الرابع — اي الحِكَم — فينطوي على قطعتين خاصتين بالحكمة ، يرسلها الشاعر سائغة سهلة ، لا اثر للتكلف فيها . وتانك القطعتان هما : من تجارب الحياة ، وعبر الدهر . فكأن شاعرنا قد اغترف من الحياة حتى دفق اناؤه ، فراح ينضح بالحكمة الناضجة ، كما دفق بها من قبل اناء الشاب القتيل — طرفة بن العبد — . وفي الواقع ان الحكمة مزية بارزة في شعر فؤاد بليبل كل البروز ، فما تكاد تخلو منها قصيدة من قصائده ، ولكننا قصرنا هذا الباب على هاتين القصيدتين لانهما خاصتان بالحكم وحدها . فقصيدة « عبر الدهر » مثلا تتألف من ثمانية وعشرين بيتاً ، ترشح بتسع عشرة حكمة ، جلها قيم بليغ ، لا يشعر قارئها بنفور ، او يلمس ضعفاً في ارسالها متتابعة . مثال ذلك قول الشاعر :

ولو لم يطهّرني الاسى بلهيبه ... لما طاب لي عيش ولا قر حاصبه
تعبت بما جاهدت حيا فلم أخب ... وهل تصقل الانسان الا متاعبه
اذا ما رأيت الروض صحت غراسه ... تيقنت ان الروض شقت سباسبه
ولولا دموع المزن لم تضحك الربى ... ولولا احتراق الند لم يذك طائبه
وما وعظ المغرور مثل غروره ... ولا هذب المذموم الا مثالبه
وهل يبلغ المرء القصي من المنى ... اذا لم يجد من عزمه ما يواثبه ؟

وهكذا يمضي شاعرنا في حكمه المتواترة ، يصوغها في قوالب سلسة متدفقة ، لا يملها القارىء ، ولا تثقل على السامع ، ولا تخلو من اثر يعلق منها في النفس . والذي نعتقد ان هذا من آثار بشار بن برد في شعر فؤاد ، فهو كما يبدو متأثر بشعر بشار كل التأثر ، حتى اخذ عنه طريقته باشاعة الحكمة في قصائده ، كما اخذ عنه جزالة الفاظه ، ونفسه الشعري المتين المتدفق المجلجل . ولسنا في حاجة الى التدليل على هذا التأثر بالمقابلة بين ابيات من من شعر الشاعرين ، فهو ابرز من ان يحتاج الى هذا التدليل . ويكفي ان اذكر في هذه العجالة ان قصيدة فؤاد التي عنوانها

« عبر الدهر » متأثرة كثيراً بقصيدة بشار في مدح القائد الاموي عمر بن هبيرة ، التي يقول فيها :

اذا كنت في كل الامور معاتباً صديقك ، لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا او صل اخاك فانه مقارف ذنب مرة او مجانبه
اذا انت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت ، وأي الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها ؟ كفى المرء نبلاً ان تعد معائبه

والتأثر هنا ظاهر في الوزن ، والقافية ، والنفس الشعري ، واشاعة الحكمة[1] .

وكما نعتقد ان لبشار اثراً في شعر فؤاد بليبل ، كذلك لانشك في ان لايليا ابي ماضي اثراً ايضاً في شعره . وابرز ما يظهر لنا هذا الاثر في قصيدة « يا اخي » لفؤاد ، فهي متأثرة كل التأثر بقصيدة من ابرز قصائد ابي ماضي واروعها ، هي « الطين » . وهذا التأثر ظاهر في الوزن اولا ، وفي المعاني ثانيا ، وفي طريقة التعبير ثالثا ، واخيراً في طريقة الاداء وفي الالفاظ ايضا . فمثلا يقول ابو ماضي :

يا اخي ، لا تمل بوجهك عني ما انا فحمة ولا انت فرقد

فيقول فؤاد بليبل :

يا اخي ، لا تشح بوجهك عني اي فرق ما بين حالي وحالك ؟

ويقول ابو ماضي :

انت مثلي من الثرى واليه فلماذا يا صاحبي التيه والصد ؟

فيقول فؤاد بليبل :

نحن في الكون لو علمت سواء كلنا فيه هالك وابن هالك

ويقول ابو ماضي :

نسي الطين ساعة انه طين حقير فصال تيهاً وعربد

وايضا :

ايها الطين لست انقى واسمى من تراب تدوس او تتوسد

فيقول فؤاد :

انت من انت ؟ حفنة من تراب فلماذا تزهو على امثالك ؟
أباصل من الحضيض حقير كل يوم تدوسه بنعالك ؟

وكذلك نجد التشابه في طريقة التعبير في القصيدتين ، فبينما يخاطب ابو ماضي « ابن الطين » المتغطرس بقوله :

ألك القصر ، دونه الحرس الشاكي ، ومن حوله الجدار المشيد ؟
فامنع النور ان يمد رواقاً فوقه ، والضباب ان يتلبد

او يقول :

ألك الروضة الجميلة ، فيها الماء والطير والازاهر والند ؟
فازجر الريح ان تهز وتلوي شجر الروض ، انه يتأود

او يقول :

أجميل ؟ ما انت ابهى من الور (م) دة ذات الشذا ولا انت اجود !
أم عزيز ؟ وللبعوضة من خديك قوت وفي يديك المهند ؟

اقول بينما يمضي ايليا ابوماضي في قصيدته يخاطب اخاه «الطين» بهذه اللهجة اللاذعة الثائرة الساخرة ، نرى فؤاداً يستعير طريقته لنفس معانيه في مخاطبة اخيه « الصلصال » فيقول :

هبك ادركت ما تروم ، انقوى ان ترد المنون عن نهب ذلك ؟
تدعي النبل ، وهو منك براء اين ما تدعيه ، من اعمالك ؟
أولم تدر أي اصل وضيع انت تخفيه في ثمين حلالك ؟

ويختم قصيدته بقوله :

فاحيَ عبد الثراء او مت به عبداً ، وعد خاسئاً الى صلصالك !

واذا كان في القصيدتين اختلاف ؛ فهو أن ابا ماضي لم يجعل نفسه ارفع من اخيه « الطين » المتغطرس الذي يخاطبه ، بل ظل يشعره بمساواته التامة له في القصيدة كلها — وهي تزيد على خمسين بيتاً — بينما ابت على فؤاد بليبل كبرياؤه المتمردة ان ينزل الى مستوى اخيه «الصلصال» الغني المتعجرف ، بل مضى في نحو نصف قصيدته — التي تتألف من واحد واربعين بيتاً — يصف نفسه بالتسامي كأن يقول :

انا اعلى نفساً ، واخلد ذكراً ومجالي في الكون غير مجالك
انا لحن السماء ، لو شئت ان يحييك شعري لعشت بعد زوالك
انا حر لم استقد لجموح من خصالي ، وانت عبد خصالك
انا من ربقة المطامع والحرص طليق ، وانت رهن خصالك
لم تزدك الاموال صفوا ، ولكن هيجت ما استقر من بلبالك

وليس يعنينا الآن ان نبحث عن مقدار ما في هذه الابيات من صدق واقعي ، لنعلم ان كان الشاعر حقاً لم يستقد لجموح خصاله ، وانه طليق من ربقة المطامع والحرص ، وانما يهمنا ان نذكر ان التشابه يجري بين قصيدته وقصيدة ابي ماضي حتى نهايتها تقريباً ، ان لم يكن في كل شيء ، ففي اشياء كثيرة ، لعل اهمها الفكرة الاساسية ، وطريقة ادائها . ولايكتفي اثر ابي ماضي في الظهور على اتمه في هذه القصيدة وحدها ، بل نكاد نلمس روح ابي ماضي الشعرية ، وانسانيته السامية ، وطريقته التصويرية في شعر فؤاد الاجتماعي خاصة . والذي يعرف طريقة ابي ماضي في

(١) اذكر مع الشكر ان صديقي الاستاذ بسام عازر قد هداني الى هذا الرأي ، وكنت اظن الاثر للمتنبي لا لبشار .

في تصوير البؤس الانساني، يرى هذه واضحة في قصيدة «المنبوذ» لفؤاد بلبيل، وفي غيرها، مما لا مجال للتوسع في بيانه في هذه العجالة.

ثم نمضي في تصفح ديوان «اغاريد ربيع» فنجد هناك شاعراً ثالثاً يختفي وراء ابيات بعض قصائده . ذلك هو الشاعر اليـاس ابو شبكة، صاحب ديوان «افاعي الفردوس». فهذا الشاعر قد ترك اثراً غير منكور في قسم من شعر فؤاد بلبيل، هو القسم الخاص بالمومسات، واخصص فأذكر ان ذاك الاثر يظهر في قصيدتَي: ثائرة، وابنة العار.

على ان هذا التأثر البارز، بثلاثة من شعراء العربية القدماء والمحدثين ليس فيما يعيب فؤاداً، او يغض من شاعريته، فهو بالرغم من تأثره بهم، قد طبع شعره بطابع خاص من شخصيته وروحه وطبعه. ولو نحن تصفحنا سير سائر الادباء والفنانين، لوجدنا في حياة كل منهم وفي ادبه اديباً آخر موهوبا، او طائفة من الادباء الكبار، استرشد بهم، وانطبع اثرهم في انتاجه الادبي او الفني.

*

والآن لا بد لنا بعد هذا الحديث عن ديوان «اغاريد ربيع» للشاعر المرحوم فؤاد بلبيل، وعن اثر بعض الشعراء الكبار في شعر هذا الشاعر، ان نذكر ان في القصائد القليلة التي انتجتهـا حياة شاعرنا القصيرة، ثروة ادبية غير منكورة، وان فيها لروحاً شعرية يندر ان نجدها في كثير مما تقذفنا به الصحف والدواوين من شعر كثير، ذلك لان شاعرنا المرحوم كان مخلوقاً ليكون شاعراً. وقد قال هو في قصيدته «بين الكأس والوتر»:

اهبت بالشعر فانقادت شوارده	في محفل بعذارى الوحي مزدهر
اصوغه من شعوري غير مدخر	من سانحات القوافي اي مدخر

ولقد اسلفت ان هذا الشاعر الشاب قد وصف في شعره حياة بنات الهوى، وشعورهن، بما لم نعهده في الشعر العربي قبله. فهو يدافع عنهن بكل حماس، ويضع اللوم في عارهن على الرجال، ويخاطبهن في ذلك خطاباً كله الم، وكله رغبة في اصلاح حالهن، فيبدأ قصيدته «ثائرة» بقوله:

أسألتِ من نبذوك نبذ المنكر	كم بينهم من فـاجر متستر
الخيرون، وهم اشر بني الورى	الابرياء، وليس فيهم من بري
الصائمون، المفطرون على الدما	الظـامئون الى النجيع الاحمر
الحانثون بكل عهـد مبرم	العابثون بكـل ذات تخفر
الصاحون، وليس فيهم مصلح	الطـاهرون، وانهم لم يفجر
يتمرغون على القذارة والقذى	ويحدثونك عن صفـاء الـكوثر
جيف اذا نزت الهموم فهمها	حشو البطون وكسر كل مجبر
ولرب عاهرة اعف شمائـلا	من كل عربيد نقي المظهر
نصبوا الرياء على خطاك حبائلا	اعماك بارقـه فلم تستبصري
اغراك ما أغرى الفراشة باللظى	فقضت ضحيـة جمره المتسعر
ان الألى انحوا عليك بلومهم	هم اكرهوك على احتراف المنكر
زعموك فاجرة، ولولا فسقهم	لظللت طاهرة ولم تتدهوري
ودعوك بائعة الاثم من الهوى	كذبوا، فان الذنب ذنب المشتري
لم يغفروا لك ما جنيت وانمـا	غفروا لجانك عرضك المستدعر
وتبادلوا رشق القتيـل بلومهم	وتجاوزوا عن جرم قاتله الزري

وهذه القصيدة الطويلة ذات الابيات المئة والاثنين، يقدمها الشاعر الى وزارة الشؤون الاجتماعية، لعلها تعمل على اصلاح حال المومس التي نبذها المجتمع هذا النبذ القاتل، بعد ان جنى عليها واوقعها في مهاوى الاثم. ثم يعود الى الموضوع يعالجه مرة ثانية، وفي مجلة «الشؤون الاجتماعية» ايضاً، لعل وزارة الاصلاح توليه عنايتها، فيقول في قصيدته «ابنة العار»:

يا ابنة العار والخنا والرذيله	انا لولاكِ ما عرفت الفضيلة
انما النذل من حداك على الرجـس	واغراك بالوعود الجميلة
ولاك المنيع حـلا شهياً	لا لشيء الا ليروي غليله
قتلوا فيك كل روح شريف	واحلوا روح الفساد بديله
هم ارادوك ان تكوني بغياً	وهم اقلعوك ثوب الفضيلة
فترديت في النقائص والعـار	ولو اصلحوكِ كنت كميلة

ويعاود شاعرنا طرق هذا الموضوع مرات اخر في قصائد طوال، وفي كل قصيدة نجد الشاعر الذي يغار على المرأة الساقطة، ويهتم بأن يعيد اليها كرامتها بعد ان كان الرجل سبب سقوطها وعارها. وانه ليطول بي نفس القول ان انا رحت اتقصى بدائع هذا الشاعر الموهوب، في ديوانه السخي بالنفثات العبقريات، لذلك اكتفي بما تقدم، وبنفسي شوق الى المزيد من هذا الشعر الصافي.

لقد قضى فؤاد منذ خمسة اعوام، وصم الموت اذنيه، فمـا يسمع ما يقال فيه وفي شعره، ولكن بقيت قصائده الروائع تطالب بحقه من الانصاف، فلا اقل من ان نقول فيها كلمة الانصاف والحق التي هي اهل لها.

القدس

عيسى ابرهيم الناعوري

السجن

بغيض ولو كان بين ذراعي حسناء . . . ولقد حجزتني الحرب الاخيرة في باريس – عشيقة شبابي – خمس سنوات رحت في اخرياتها ازدرد اللذة حتى لكدت اتقيؤها ، وحتى لكدت اخشى ان يقر في وعي ان الجنس البشري المختار ان هو الا حاجة متجددة ذات نوافذ . . . اما الحب . . . الحب المجيد الذي يتسامى اليه بعض النـاس فسراب عريق ليس يوحي الا بالظمأ !

ولا يكاد الاسير يتفلت من اساره حتى يعود فيحن اليه من جديد . . . وانني ما كدت اغادر باريس البغي البكر العجوز حتى وجدتني اتلفت حنيناً اليها كأنني قد غادرتها منذ اعوام وانني مقبل عليها الساعة . . .

هذا القلب العجيب . . . انه ليكاد يضيق ذرعاً بما فيه ، ثم تراه ينشد ان يجمع العالم في قبضته ! . . وابتُ الى موطني متهيباً موزعـاً كما يهجر الانسان خليلة ليلحق بأمه . . . ولكن الحنان يذكر بالحنان ، وما اكثر ما يغري الصـدر الخفوق بالصدر الخفوق الآخر . . . فاذا الامل ذكرى ، واذا الشراب هو الذي يسعر الظمأ !

سفينة من شرابي . . .

ولقيت ابويّ واخوتي ومعارفي وكـأني اراهم في حلم . . . ولكنهم بررة خيرون . . ولكني لا اكاد اطمئن الى واحد منهم لانني لا ألمح في عينيه لعنة العمر . . . والحياة خشنة كابلاع الكسر اليابسة ، والمباهج شاحبة كاوراق الخريف . . . فقلت الوذ بالريف علّي اجد في خشونته وصراحته شاغلا . . .

وفي القرية الصغيرة الهادئة قال ابي يحدثني بصوت عميق وهو لا ينظر اليّ :

– لن تجد هنا ما الفت ان تجد في باريس . . .

واذا اردت ان تغتبط بك الارض فما عليك الا ان تغتبط بالارض . . .

هـذا الشيخ الوقور . . . لقد كان منجماً بارعاً ولكنه لم يكن طبيباً ابدا . . .

ولم يكد يمضي على وصولي القرية ساعات حتى سمعت اسم « عباس » اكثر من مرة ، وعلى كل لسان ، فسألت امي :

– ومن يكون عباس هذا ؟

فقالت ترد علي في لهجة واثقة :

– انه الرجل الذي يدين اليه ابوك باستعادة ثروته . . . انه القائم على اعمال القرية ابرع قيام . . وانه لاعجوبة . . .

وهبطت من القصر استعيد بعض ما درس في الذاكرة من معالم القرية ، فاذا عباس منتصب امامي كمارد !

وانحنى الرجل على يدي كمن يحاول ان يقبلها مسلماً ، فانتزعتها من يده السمراء الضخمة بحزم ، وصافحته بحرارة وانا اقول :

– عباس . . على ما اظن ؟ . . .

فقال بصوت رائق رائع النبرة :

– خادمك عباس . . .

فاضطربت في الرد ، وتحولت بالحديث اسأله عن بعض مـا يحيط بي من مشاهد . ورحت اتأمله باعجاب وهو يشرح لي بعض ما خيل اليه انه استغلق علي من شؤون القرية : قامة مديدة كالرمح سمواً واعتدالا ، ووجه اسمر صارم كأنه قد من رخام اقتم ، وعينـان حادتان كعيني صقر يتحفز ، وذقن صغيرة انيقة فاحمة . . . اما اسنانه فلآلئ كرية تذوب وتتألق ، وهو بعد في حدود الثلاثين .

وقلت احاوره مبتسماً :

– لقد سبقك الثناء الي يا عباس . . .

فقال في هدوء واعتداد :

– الحيوان اقوى من الانسان . . ولكن الانسان هو السيد .

فقلت في نفسي :

– وحكيم مفوّه . . ما اروعه شيخاً لقبيلته ! . . .

وقال الشاب يحرك ما ركد بيننا من حديث :

– من باريس الى القرية . . . انك لا بد ستستشعر الاغتراب والوحشة . . .

فقلت اسأله باسما :

– أيتغرب الانسان بين قومه يا عباس ؟

فقال في بساطة رائعة :

– النفس هي التي تتغرب ايها السيد .

فسألته بغتة ، وبغير وعي :



بقلم مظفر سلطان

— امتزوج انت يا عباس ؟ . . .
فأخذ للسؤال لحظة ثم اجاب :
— كلا يا سيدي . . .
فقلت منساقاً مع الاحساس المصمم المبهم ذاته :
— الا تفكر في الزواج ؟
فاستضحك وقال :
— حين اجد المرأة التي ترتضيني . . .
اذا كان حقاً ما تقول فما ذاك الا من نقص في انوثتهن . . .
فلم يبد عليه انه فهم ما عنيت ، ولكنه سمح للآلئ الكريمة ان تذوب وتتألق . . .
وتعاقبت ايام كنت اتحدث فيها الى عباس اكثر من مرة كل يوم ، وكان يظهر اللهفة والاغتباط بما كنت احدثه به من اخبار اوربا وباريس بخاصة ، وبما كنت اقصه عليه من قصص الحب المستطيرة واخبار الشذوذ الجنسي العارم . . . وقلت له في ذات ليلة قمراء ، ونحن جلوس على بيدر القمح ، ونسيم الليل الرقيق يداعب وجوهنا وشعورنا كأنامل عاشقة ، والطبيعة من حولنا غانية فاتنة قد احبت فتبرجت بكل مفاتنها :
— اتدري يا عباس انك اذا قدر لك ان تعيش في باريس فستكون لنسائها معبوداً ؟ . . .
ففغر فاه دهشة وقال :
— ايعرضن عن الشباب المشرق كرأد الضحى ، ويتبعن بدوياً اسحم مثلي ؟ ! . . .
فقلت اعابثه ظاناً انه لن يفهم عني ما اقول :
— الثلج لا يحلو الا بالنار . . .
وما كان اشد دهشتي حين سمعته يجيبني على الفور :
— والنار يطفئها الثلج . . .
فقلت بلهجة ذات مغزى
— النار التي لا تنطفئ لا بد ان تخمد . . .
وارتفع صوت يناديه من ضمير القرية ، فقام فتولى عني وهو يقول :
— اذن . . فما علينا الا ان نصطلي بالنار قبل ان تخمد . . .

*

وكنت قد كتبت الى صديق لي مختار يقيم في احدى المدن الجبلية الرشيقة احدثه عن ضجري ويأسي ، ولقد وصفت له نفسي في احدى رسائلي اليه بأنني لست اكثر من جثة محنطة تتحرك . . وتأكل . . وتضحك . . تضحك كما يقرع الغلام العابث بقضيب في يده الصفيحة الفارغة . . . فكتب الي يدعوني لقضاء بضعة ايام عنده ويقول : ستجدني اقتل منك ضجراً ولجاجا . . فان شئت . . فاصحب نعشك واتبعني . . .
واعجبتني هذه الدعوة الخشنة فبادرت اليها راغبا . . .
ولما عدت الى القرية الواجمة بعد اسابيع كان عباس اول من سألت عنه ، فاذا وجوم في الوجوه وتعثر في الردود ، ولما الححت في السؤال عنه وانا في بعض الحيرة والعجب ، قالت امي ترد علي بصوت خافت ناقم :
— دعك من العاهر الفاجر . . . لقد اختطف احدى نساء القرية المتزوجات وهرب . . .
وغابت كلمات امي القلائل في اطواء صوت عميق ارتفع من اعماق الماضي يقول :
— اذن . . فما علينا الا ان نصطلي بالنار قبل ان تخمد . . .

*

وغبرت شهور . . وقام في حسي انني اتحول ببطء فاجع الى مستنقع آسن ماؤه قد نبتت على ضفافه وفي اعماقه الحشائش والطحالب وربا في نفسي الاحساس بالضيق والركود والتقزز حتى لاكاد اشم اسن المستنقع وفساده بمنخري . . .
واستأذنت ابي في العودة الى اوربا وقد انقضت الحرب راضياً

ان اعود الى حياة الجوع والتشرد والقلق ، فلم يستجب لتوسلاتي ووعودي ... وكأنه كان يزداد صلابة كلما ازددت ضراعة !

وكانت امي العجوز الورعة المحافظة تسعفه وتعزز رأيه ما وجدت الى ذلك سبيلا ، لانها — على زعمها — قد استردت ابنها الغالي بعد ان كانت قد فقدته اعواما ؛ وانها لن تدعه يفلت من يدها مرة اخرى ... وكان الناس جميعاً يتبرعون بالمواعظ والنصائح وكأنهم يتجشأون ...

كنت قد غادرت باريس بغياً جائعة مسعورة اعتصرت كل دمائها المسكرة في ليلة مخمورة داعرة ... ولكنني الآن اضحى مؤمناً بنساء العالم جميعاً ثمناً لقبلة مشوقة اعود فاطبق بها على ثغر البغي الغانية ...

هناك ... حيث خلفتها مع الفجر ، شعرها ارعن .. وثغرها كجرح لما يندمل .. ووجنتها كوردة ملوثة .. وجسدها كجنة عصفت بها لعنة ... والسرير كأنه قد تخبطه الشيطان من المس . والشراب من مهل .. وهو وحده الذي يضرم الشوق ويسعر الظمأ الخالد !

وقال ابي كلمته الاخيرة فلا راد لها .. ورحت اسعر الظمأ اللاغب بسيول من الخمرة العنيفة التي كنت اعبها صباح مساء وحتى موهن الليل كل ليل ...

وفي سوق الاجساد البشرية المعروضة باي الاثمان ولكل انسان وفي احدى هاتيك الليالي الفواضح ، والليل متعب مكدود ، والنجوم تبص وتخبو في مفازة السماء كعيون فواتن اضناها السهر ، كنت اعود الى المنزل كجثة ثملة تتعثر . وعلى ضوء احد المصابيح المهومة بصرت بشبح .. شبح انسان اعرفه ويعرفني وقد كان لي معه شأن ... شبح انسان مر في فترة من حياتي كالشهاب ، ومررت في فترة من حياته بما .. لا ادري ...

وهتفت بغير وعي :

— عباس ...

فوقف يترنح ، وينظر الي بعينين غائرتين خامدتين تنظران ولا تبصران ... وقد تغير زيه ، وزالت لحيته ، وصوح عوده .. وراح كل منا يتفرس في صاحبه بابهام واستنكار كأن بيننا حجاباً من زجاج اغبش ... وقلت اسأله وانا الوك الكلم :

— عباس .. اهذا انت يا عباس ؟! ...

ومددت يدي اصافحه فلم يمدد الي يدا ... ثم كأنه قد وجد لسانه بعد لأي فقال :

— عباس .. اجل انا عباس .. عباس الذي قتلته ايها السيد .

وكنت قد دفعت بين يديه زجاجة الخمر العتيقة التي كانت لا تفارقني ... فلقفها وعب منها جرعة روية ثم اعادها الي فارحتها على فمي المبتهل حتى الثمالة .. وقلت ارد عليه وانا ابتسم كجمجمة :

— انا ! ... انا لم اقتل احداً يا عباس ... واني ان كنت قد فعلت .. قد سقيتك من شرابي ... ولكن اين .. اين المرأة التي تبعتك ؟ ..

فقال بصوت كالفحيح :

— وانا .. بدوري ... قد سقيتها من شرابي ...

وتحطمت الزجاجة الفارغة على الارض ... وتحطمت الضحكة الفارغة في فم الرجل العابر ...

برمانا مظفر سلطان

★



بوبول

☆

محمود عيسى

طرطوس

يملأ البيت ، بهجة بالنباح ... في المساء الكئيب ، او في الصباح

كان كالزهر ، نضرة ، وبهاء ... في غدو مبصبصاً او رواح

كلما همت الصغيرة منه ... عض منها البنان دون جراح

تملأ البيت ، فرحة حين تعلو ... وجهها الحلو حمرة التفاح

ثم تجري — وخلفها الجرو يجري ... مثل طيرين علقا بجناح

بين فكيه ، ثوبها — مثل غصن ... داعبته في الروض كف الرياح

كلما رف ثوبها ، قلت هذي ... — وهي تعدو — فراشة في البطاح

☆

مر بالدار ، في المساء ، غريب ... ازعج الحي ، بالعوا ، والنباح

فاذا الجرو ، في السلالم يهوي ... لصراع الغريب سهم كفاح

وتعالى الغبار — جرو وكلب ... من رأى الطير ، في يدي تمساح

فاذا الجرو ، — نغمة من انين ... تقطع القلب — مثخناً بالجراح

☆

فهوت فوقه الصغيرة تبكي ... « ايه (بوبول) ، ياسمير مراحي »

تغسل الجرح بالدموع وتحنو ... بالتياع الاسى وزفو نواح

قبلته ، فراح يلحس منها ... معصميها ، وينثني للراح

والدموع الرقاق ، تنساب عفواً ... فوق خدين — في بياض الاقاح

وهوى فاقد الحراك ، وظلت ... مقلتاه ، كخفقة المصباح

كاد يخبو البريق ، لولا دموع ... ناشرات عليه اسنى وشاح

☆

●

انا اهواك

☆

ابو عبد عبود

حماه

كيف اسلوك ، في البعاد ، وعندي ... لك بين الضلوع حب خصيب !

في خيالي يا بدر طيفك يزهو ... حين عن ناظري سناك يغيب !

انت للقلب تحت ظل التصافي ... وعلى الهجر والجفاء حبيب

في تمادي الاشواق ! عنك اصطباري ... قل — يا مهجتي — وزاد الوجيب

ان براني النوى ، وعز شفائي ... وكواني الجوى ! فأنت الطبيب !

يا منى الروح ! في جفونك سحر ... عبقري السنا ، وسر عجيب

☆

أنا أهواك ، والمنى طوع امري ... ليس لي ، في الهوى ، عليك رقيب

اعظم ما توصل اليه فن التحنيط المصري .

● اخذ علماء البحرية البريطانية يعملون على استحداث سهام نارية صغيرة الحجم على غرار السهام المعروفة برقم « ف ٢ » تمتاز بالارتفاع الى طبقات الجو العليا حتى يستعين بها علماء الارصاد الجوية في وضع تقارير وافية عن حالة الجو في اوسع نطاق لاعتقادهم ان سير التيارات الهوائية التي تحدث امواجاً عكسية وانخفاضات في الهواء انما تحدث عادة في الطبقات العليا من الفضاء فاذا اطلقت السهام عمودية امكن ان ترتفع الى اربعين ميلاً في اجوازه ثم تعود الى الهبوط بالمظلة شيئاً فشيئاً ، وفي هبوطها الى الارض على هذا النحو تذيع باللاسلكي اشارات عن مدى الضغط والانخفاض في درجة الحرارة .

● صرح امس الدكتور الكسندروف المراقب السوفياتي لتجربة القنبلة الذرية في بيكيني قائلا انه سيكون للسوفيات قريباً قنبلة ذرية ، يجربونها في سيبيريا او في القطب الشمالي او في الجزر الواقعة شمالي كندا .

ومضى يقول انه لا يعلم فيما اذا كانت حكومته قد انتهت من اعداد القنبلة لكنني اعتقد انه سيكون لدينا قريباً كل ما تملك الولايات المتحدة الان واردف قائلا ان السوفيات ما زالوا لسنين طويلة يعملون على اكتشاف الطاقة الذرية .

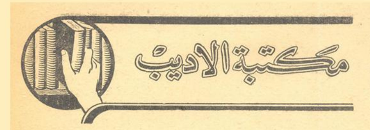
● صرح السير جون اندرسون الذي قام بدور رئيسي في ابحاث القنبلة الذرية خلال الحرب ، بأن العلماء الاخصائيين في الكيمياء وعلم الاحياء توصلوا الى استحداث اسلحة اشد فتكاً من القنبلة الذرية . وذكر ان هذه الاسلحة قد اختبرت فعلا .

وقال السير اندرسون ان استحداث هذا السلاح الجديد نتيجة ابحاث اجريت اثناء الحرب .

واضاف قائلا ان العلماء تجاوزوا العهد الذي يحق لهم فيه ان يدمروا ما صنعوا بايديهم لاعتقادهم انه من الخطر بحيث لا يجوز ان يسلم هذا السلاح لانسان لا يزال على الفطرة البدائية ، كما فعل ليوناردو دافينشي من قرون مضت هذا وان الاعمال التي ترمي الى كشف النقاب عن اسرار الطبيعة يجب ان تصدر عن سلامة الغرض ونبل المقصد .

● تمكن الجيش الاميركي من ضرب الرقم القياسي في تجارب الصواريخ الجوية التي اجراها اليوم ، فقد اطلق واحدة منها في منطقة ويت ساند في ولاية نيومكسيكو فوصلت الى علو ١٠٤ اميال . وهذا يزيد على الرقم القياسي السابق بنحو ٢٣٫٥ ميلا .

وقد حمل هذا الصاروخ آلات دقيقة تبين مدى الاشعاع الكوني وقوة ضغط الهواء . وهبط الصاروخ على بعد ٦٩ ميلاً من الموضع الذي اطلق منه ، وحفر حفرة عميقة في صحراء مكسيكو .



القاهرة الجديدة

للاستاذ نجيب محفوظ – ١٧٧ صفحة – لجنة النشر للجامعيين – القاهرة

شغلت هذه الرواية الجديدة فكري كما لم تشغله رواية من قبل ، فقد ظلت حوادثها تتقلب على ذهني ، وبقي ابطالها يهزون لخيلتي ردحاً من الزمن ، لا لان الرواية جميلة – وهي لا شك كذلك – وانما لانها غنية ... فهي غنية بالحوادث ، وغنية بالتصوير ، وغنية بالتحليل النفسي . وهذا الغنى جدير بان يشغل الفكر ويثير اهتمامه ويشعر القارىء ان عناصر « الابداع » متوفرة لدى المؤلف ، وهي تارة تبرز رسوماً واضحة بيّنة ، وتارة تبرز ظلالا لا ينقصها سوى التبلور والالتماع لتأخذ مكانها في حيّز الخلق الفني .

اما القصة – كحادثة – فتدور حول شخصية شاب جامعي نال شهادة الليسانس ، ثم كان جل همه ان يلتمس وظيفة يقيم بها اوده واود والديه ، والدته ووالده الذي كان يمده ببعض المال لانهاء دراسته الجامعية ، ثم اقعده المرض ، فانقطع المال الذي كان يجنيه من وظيفته ، ولبث يترقب عون ابنه بعد انتهاء دراسته .

وقد كان لهذا الشاب « محجوب عبد الدائم » ثلاثة زملاء في الجامعة ، علي طه واحمد بدير ومأمون رضوان ، لكل منهم عقيدته الفكرية الخاصة . اما هو ، محجوب ، فعقيدته التحرر من القيم والمثل والمبادىء والاستهانة بالعقائد ، وشعاره في الحياة كلمة واحدة ، قد لا تكون جميلة ولا مستحبة ، بيد انها اصدق الكلمات تعبيراً عن هذا الشعار « طظ » ! فكلما استعصى عليه امر ، او عرضت له مشكلة محرجة ، كانت هذه الكلمة التي تعبر عن الاستهانة واللامبالاة السبيل الوحيد لتهوين الامر وحل المشكلة .

ويجهد محجوب لنيل الليسانس ، تراوده في اوقات فراغه شهوته الجنسية فيرضيها بفتاة بائسة كانت تجمع اعقاب السكاير ، ويظل يدافع الفاقة والجوع مدة من الزمن ثم فتق له العوز ان يلجأ الى زيارة قريب له يود ان يستعينه على امره ، فاذا هو يلتقي بابنته فيعجب بجمالها وشبابها ، واذا هو يواعدها لزيارة يقومان بها لحفريات الاهرام . فاذا كان الموعد ، حاول محجوب حين خلا بالفتاة امام احد الآثار ، ان يقبلها ، فصدّته بجفاء وتركته وحيدا .

وفي تلك الغمرة من الحرمان الذي يعانيه محجوب ، يلتقي ذات يوم بصديق له قديم اصبح مديراً لمكتب احد موظفي الوزارة الكبار . ويعرض عليه هذا الاخير « الاخشيذي » ان يقوم في الصحف بدعاوة لسيدة « محسنة » لها نفوذها ، مقابل السعي

لتوظيفه بعد ان نال الليسانس . وفيما كان محجوب يهم بذلك ، استدعاه الاخشيدي فجأة ، وعرض عليه مركز «سكرتير» الموظف الكبير الذي كان يعمل مديراً لمكتبه ، شريطة ان يقبل بالزواج من فتاة اعتدى عليها سيده : قاسم بك فهمي . . . وفهم الشاب انها مساومة على شرفه وعرضه . . ولكن هل كان له شرف او عرض ؟ وهنا تبرز فلسفته في الحياة « طظ » فاذا هو يقبل بالعرض طمعاً بالمنصب والجاه والمال . . . ولكن من تكون الفتاة الضحية؟ انها خطيبة وحبيبة زميله وصديقه ، علي طه ، التي كانت على غاية من الطهر والشرف والتي جالدت وجاهدت لتظل محتفظة بعرضها على الرغم من دفع والديها اللئيمين اياها الى مزالق السقوط . . . واذن ، فكيف سقطت؟ لم يهتم محجوب لهذا الامر ، وعقد زواجه عليها في اليوم نفسه بعد ان منّاه الاخشيدي بان « البك » سينفق على هذه الزوجة وعليه هو ايضاً ، على ان يقام للبك صيوان في بيت محجوب الزوجي ! . . . وهكذا رضي صاحب الشعار المذكور « بقرنين يحلي بهما رأسه » !

وعاش الزوجان حياتهما الجديدة ، وكل منهما يغضي عن الواقع الشائن ، وما لبث قاسم بك فهمي ان اصبح وزيراً ، وتقرر ان يكون محجوب مديراً لمكتبه . وهنا يبرز الاخشيدي طالباً من الشاب ان يتنازل له عن هذا المركز ، فيأبى محجوب بعد ان كان راتبه الجديد (٢٥ جنيهاً) قد ملأ فكره ونفسه . وراح الشاب وزوجته يسلخان حياة مترفة باذخة ، ويغرقان الهم اذا عرض لهما بكأس من الخمر . . . ونسي محجوب او تناسى والديه المعدمين حتى كان ذلك اليوم : تلك ساعة من الاسبوع تعوّد الوزير ان يأتي فيها بيت مدير مكتبه ، او قل بيته هو . . . فيقضيها مع زوجة محجوب . . وقبل ان يجين هذا الموعد ، يطرق الباب شيخ هِمّ يتوكأ على عصا : انه والده اتى القاهرة من القناطر . . ولكن لماذا قدم في هذه الساعة الحرجة ؟ اتكون مؤامرة بيتها الاخشيدي انتقاماً منه ؟ وكان كلام بين الاب والابن فيه لوم وعتاب ، بل وسخرية ايضاً ، والفتى ممسك بيده قلبه خشية مجيء الوزير . . . ومـا لبث الوزير ان دخل ، وافهم محجوب اباه ان الداخل والد زوجته . . وما هي الا لحظات ، حتى اقتحمت الباب امرأة تسأل اين زوجها واين تلك العاهرة التي ينصرف اليها . . . وفهم الوالد المسكين القضية وادمى الواقع فؤاده فايقن ان ابنه محجوب قد مات . . . الى الابد . . . وانفجرت الفضيحة الكبرى ، فاستقال الوزير ، وابعد محجوب الى وظيفة صغيرة خارج العاصمة . . .

ذلك هو ملخص رواية « القاهرة الجديدة » للاستاذ نجيب محفوظ . وكنت اود الا اورده ، لان التلخيص مشوه للرواية بصورة عامة ، لولا اضطراري الى الاستشهاد بحوادث ووقائع ينبغي ان يدركها القارىء ليتابع النقد على وضوح . فالرواية — كما هو ظاهر — لا يعوزها جمال الحادثة ، وهي مأخوذة من البيئة المصرية الحديثة ، وفيها تصوير — هو اقرب ما يكون الى الصدق — لحياة الشباب المصري ، فاذا كان هنا محجوب الوضيع المتهافت ، فهناك علي طه الرفيع الخلق ، وهذا مأمون رضوان المسلم التقي الورع الذي تعد سيرته مثالاً للنزاهة والصدق والسمو الخ . . . فليس هو اذن نموذجاً واحداً ، وانما هي نماذج للشباب المصري الحديث . وميزة الرواية الاولى — في اعتقادنا — هي هـذا الحس الشديد للواقعية . فان الكاتب صادق كل الصدق في احساسه بالواقع ، ذلك انه يهتم بالغ الاهتمام لاثبات الواقع وسرده ، مهما كان هذا الواقع قذراً ، ومهما بلغ من اللؤم واثار اشمئزاز القارىء وكرهه . فالحقيقة ان القاريء يخرج من تلاوة الرواية بكره شديد وحقد بالغ على البطل الذي عاش حياته في جو من الفضائح والخسة والسفالة بيد ان ذلك لا يعني المؤلف في كثير او قليل لان اهتمامه الاكبر منصب على سرد الحادثة وتصوير الشخصية ، وهو في ذلك يقاوم الذعر الذي يستشعره كثيرون من قصاصينا في الواقع ، فيحاولون ان يخففوه ، وكثيراً ما يجعلونه باهتاً . . .

على ان هذا الحس يجاوز احياناً حدوده ويتعدى منطقة عمله ، فاذا بالمؤلف يثير الواقع اثارة مبالغاً فيها ، بحيث انه يحمله اكثر مما يتحمل — عادة — من بشاعة وقبح ، فاذا هو شاذ يدع القارىء في شك من صحته ، او في حيرة من تعليله وتفسيره . مثال ذلك ان « احسان » الفتاة الشريفة التي قاومت المفاتن والمغريات ، واحتقرت والديها اللذين يدعوانها الى الرذيلة في سبيل اعالة الاسرة الفقيرة ، وظلت محتفظة بشرفها وبحبها لعلي طه وبرضى ضميرها ، احسان هذه ، هي التي تسقط فتستسلم للبك ، ثم ترضى بان تتزوج صديقاً لحبيبها ، ثم تسعد في حياتها الجديدة ، حياة العاهرة التي يقبل زوجها بان تكون لسواه ، وهي بعد لا تستشعر ندماً ولا تحس تبكيت ضمير . . . أليس في ذلك شذوذ فاضح وغرابة جلية لا تحتملها قصة واقعية ؟

او ليس عجيباً كذلك ان يقبل محجوب — في دقائق معدودة — بان يتزوج فتاة ساقطة لا تعتزم التوبة ، وانما هي مدعوة الى الامعان في الرذيلة والسقوط . . مهما بلغ هزؤ محجوب بالمثل والقيم ، واية كانت

الدركة التي انحط اليها ، فان مجابهة هذا الوقع اللئيم ليست من اليسر والسهولة بحيث يرضى في لحظات ان يحلي رأسه بقرنين ذهبيين ! . . .

ولعل المؤلف قد شعر بالامر الاول حين كتب صفحة يبرر بها تحول احسان من حالة الى نقيضها (ص ٩٦) ولكن هذا التبرير لم يكن ليؤثر على الصورة التي اتخذها القارىء لاحسان في بدء الرواية .

والواقع انه لا بد للقارىء من ان يحس بأن المؤلف بدأ يفقد سجيته في سرد الحادثة الطبيعية ، حين جعل من الميسور قبول محجوب واحسان بهذا الزواج التمثيلي ، فاذا الوقائع بعد ذلك سلسلة من الحوادث المصطنعة التي يثقلها كثير من التكلف والتعمل .

بقي هناك امران يستحقان الاعجاب، اولهما هذه العبرة الخلقية التي يرمي اليها الكتاب من ان احتقار العقائد والمثل والادراع باللامبالاة ومجابهة الحياة بعدم الاكتراث ، كل هذه لا تنفع صاحبها الفيلسوف شيئاً ، بل تؤدي به الى افجع الكوارث ، وان مواجهة الحياة بالصبر والتفكر -- مهما حملت من مصاعب — اجدى واوفر نفعا . وثانيهما خاتمة الرواية : فان الاستاذ محفوظ عرف كيف يسوقها ، فلم يتابع هذه الرغبة السريعة الهينة التي يحسها القارىء لمعرفة نهاية « البطل » : « ماذا حدث لمحجوب بعد ان ابعد خارج القاهرة ؟ وماذا جرى لزوجته ؟ هل ظلت مخلصة للبك ، وهل بقي الزوج راضيا عن علاقتها به ؟ والى اين انتهت «فلسفة» محجوب ؟ اظلت «طظ» شعاره الاعلى ؟»فلو اهتم المؤلف بالاجابة على هذه الاسئلة وامثالها، لانهى روايته بخاتمة باردة جداً . . . ذلك لان القارىء يجد كفايته كلها من هذه الاسئلة في الرواية نفسها ، وفي تقلب حوادثها ورسم خطوط ابطالها . فخاتمة « القاهرة الجديدة » اذن موفقة ، لانها عقدة لم تنحل ، ولكنها تكاد تكون منحلة .

وميزة الرواية الثانية التحليل النفسي العميق الدقيق، والمؤلف يوفق كل التوفيق في رسم المعاني التي تراود الفكر ، وتسجيل المشاعر التي تعتلج في الصدر ، وان في جعبته لالوانا مشرقة غنية وظلالا متمددة متسعة . فهو حين يصف الحرمان الذي يعانيه محجوب ، وما يبعثه في نفسه من غيظ وحنق ورغبة في الانتقام ، ويتحدث عن النزهة التي قام بها البطل والبطلة مع جمع من اصدقائهما الى القناطر ، او يفصل احاسيس محجوب حين يطالعه وجه بائع التين ، وما يشعر به من مقاربة لصورة والده الشيخ الخ . . . فلا شك في ان القارىء يعجب بالمؤلف وبالمقدرة التي اوتيها للوصف والتحليل .

اما اسلوب المؤلف فذو ديباجة قوية مشرقة وتعابير جيدة والفاظ مختارة منتقاة، على الرغم من ان الكتاب لا يخلو من كلمات اجنبية لها مرادفاتها العربية كـ « الشيزلنج » بدلا من « الكرسي الطويل » و « الموضة » بدلا من « الطراز » وغيرهما . . .

وقد عثرنا في الرواية على اخطاء نحوية وصرفية هذه بعضها — فضلا عن الاخطاء المطبعية — : اضافة اداة التعريف الى «غير» وجمع « طابق » على « طباق » والفخورة (ص ١٥) وتصويبها « الفخور » وقوله « يتناول رغيفاً ونصف (ص ٤١) وصحتها « ونصفاً » و « يوجد عليه وجداً عظيما (ص ٤٣) وصوابها «يجد» ولا تصح « يوجد » الا بمعنى الحب ، يقال : يوجد به اي يحبه حباً شديداً — وقوله « وقف على الباب ساعي طويل القامة (ص ٥٣) والصواب « ساعٍ » وقوله « فحتام تلوي بوزك — والمخاطب انثى — وصحتها « تلوين » وقوله « لم تسمح لاحدى هذه المشاعر » والصواب «لاحد هذه المشاعر» واستعمال رأس بصيغة التأنيث. . . فعسى ان يتلافى الاستاذ المؤلف امثال هذه الاخطاء فيما بعد .

٢ ــ الحجاج

للاستاذ عبد الرحمن عياش — ٨١ صفحة — مطابع ابي الفداء — حماه

هذه مسرحية تاريخية ابادر الى تهنئة الاستاذ المؤلف للتوفيق الذي احرزه فيها ، ومرجع هذا التوفيق هو حسن اختيار الموضوع وقوة العرض والحوار ، ومتانة الاسلوب وجزالته .

اما الموضوع فيتناول ذلك الصراع المعروف بين الخليفة عبد الملك بن مروان وعبدالله بن الزبير خصمه الطامح الى الخلافة ، واستخدام الحجاج في سبيل كسر شوكة ابن الزبير . وهذا موضوع يلائم المسرح جد الملاءمة لما فيه من فائدة تاريخية واثارة عاطفية ، ولما لابسه من الظروف والحوادث . واما العرض ، فقد بلغ مبلغاً عظيما من القوة والمتانة ، اذ ان المؤلف وفق في تحليل نفسيات ابطاله وابراز خصائصهم وميزاتهم المعروفة في التاريخ . فذلك هو ابن الزبير المؤمن الثائر الغاضب الذي يمتلىء ايماناً وشجاعة واقداماً ويسعى بكل ما اوتي من قوة لكسب الخلافة ، وهو نفسه الكريم الرحيم يلين لكلام امه اسماء بنت ابي بكر ويستمد منها روحاً لمواصلة جهاده ، وذلك هو عبد الملك الخليفة الحانق المغيظ يعظم

عليه ان يتطلع احد الى حقه ، وهذا هو الحجاج الوالي القوي الشديد البطش الذي يعيش ليرضي مولاه الخليفة بكل ما تملك يداه . وتلك هي اخيراً اسماء : المرأة الحكيمة الجليلة ، تؤمن بقوة ابنها وعظمته وتدفعه الى الاقدام كلما احس بتنازع الاحجام .

ومن العناصر الرئيسية التي وفرت للعرض جماله وقوته ، ذلك الحوار المستمسك الرصين الذي لا يعتوره ضعف او تراخ . وهذا دليل على ان المؤلف اوتي حس الحوار المسرحي الناجح . اما الاسلوب فجزل قوي ، وذو ديباجة عربية مشرقة ، اقرب ما تكون الى ديباجة العربي الذي ينطق السحر والبلاغة ، وقد ساهم هذا الاسلوب مساهمة فعالة في تمثيل الروح العربية الحقة والتعبير عن مجاليها . ولا بد لنا من ابداء اعجابنا بالمنظر السابع الذي يحلل فيه المؤلف نفسية الحجاج تتجاذبها قوى الخوف والاطمئنان ، والخشية والايمان ، ثم تتغلب لديها روح الثقة باداء الواجب ، وهذا طبعاً رأي المؤلف الذي يسهل ان يكون موضوع جدل ونقاش . غير اننا لاحظنا ان شخصية الحجاج لا تبرز الا في اواخر الفصل الثالث ، اي في منتصف الرواية ، وهذا خطأ في نظرنا ، من حيث التأليف المسرحي ، لان التمهيد لابراز بطل الرواية ينبغي الا يتجاوز اكثر من فصل واحد من سبعة فصول . وقد راعى المؤلف جانب التنويع في روايته ، فابعد بذلك روح الملل ان تستولي على القارئ ، كادخال الفصل الثالث الذي يجري ذلك الحديث الممتع الطريف الفكه بين الجنود الشاميين الاربعة .

وكان الاستاذ المؤلف اميناً في نقل النصوص التاريخية والافادة منها بوضع الاحاديث التي تقارب روحها وتدانيها . ولكن لست ادري لماذا اهمل ذلك القول الرائع الذي قالته اسماء حين مرت بجسم ابنها مصلوباً فقالت « اما آن لهذا الفارس ان يترجل ؟ »

ومهما يكن من امر ، فان الاستاذ عباش قد كشف في هذه الرواية القصيرة عن موهبة جيدة في الكتابة المسرحية ، فلعله يثابر ، ولعله يعالج كتابة المسرحية في شتى انواعها الغرامية والفكرية فضلا عن التاريخية .

٣ — لاجل الاتحاد والحرية

للاستاذ ت . الشماس — ١٦٧ صفحة — طبع بيونس ايرس — الارجنتين

يقول المؤلف ان هذا الكتاب « رواية غرامية تهذيبية وطنية يتخللها بعض اخبار تاريخية تبحث في سبيل اتحاد الامم العربية ونوال حريتها » . ويضح من هذا التعريف نفسه ان هذا الكتاب ليس رواية قبل كل شيء ، لانه لا يرمي — من جهة — الى وضع رواية قائمة بذاتها ، فهو اذن يخطىء الهدف ، ولانه من جهة اخرى زاخر بالاستطرادات التاريخية والجغرافية التي تقتل فيه روح الرواية الحق . ثم ان (الحادثة) التي هي موضوع الحديث ، جد ضعيفة ، لا تستقيم بها القصة الصحيحة : فهذا فتى مصري قدم يصطاف في لبنان ، فاذا به يلتقي على الباخرة بفتاة لبنانية تدعى (دعد مصعب) فسرعان ما تتوثق اواصر الصداقة بينهما ، وتتعهد هي ان تطوف به لبنان فيشاهد آثاره التاريخيه ويمجد معالمه التي تثير في نفسه ذكريات اللبنانيين ، الوطنيين منهم والادباء . وما تلبث الصداقة ان تتحول الى حب متبادل يتعاهد الحبيبان ان يقدساه بالزواج ، بيد ان الدين يحول دون ما يبغيان فهو مسلم وهي مسيحية يأبى ذووها ان تقترن بمن لا ينتمي الى دينها ، وهكذا يفرق بينهما ، وان كانت هي تظل ترجو وترجيه بالزواج ، ولو في العالم الجديد . هذا هو ملخص الحادثة ، التي لا قيمة لها في نظرنا ، الا من حيث انها تطرق مشكلة اجتماعية معروفة ، هي مشكلة الدين الذي يحول في نظر فريق من اتباعه بين تآلف القلوب .

والحق ان قيمة هذا الكتاب تتركز في ناحيته الفكرية ، وان كانت هذه الناحية هزيلة شاحبة في بعض اوضاعها ، لان المؤلف يتناول الشؤون الفكرية والاجتماعية عامة بتفكير مثالي يفتقر الى حس الواقع والحقيقة ، ليكسب المتانه والقوة ، على ان الكتاب يزخر بالافكار النبيلة السامية كمحاربة التعصب الذميم والطائفية البغيضة والتقاليد البالية ، لاجل الاتحاد والحرية . والمؤلف يقول بهذا المعنى : « لا قومة لوطننا ولا نجاح لشعبنا الا بالاتحاد ، ولا يكون الاتحاد الا بالتآخي ، ولا يكون التآخي الا بالتازج ، اعني بالتآزج الزواج ما بيننا ... فيا اخي ، انت لا تنال الحرية كاملة بتحرير وطنك وجسدك بل عليك ان تسعى لتحرير روحك من عادات روحك » . فهذه فكرة تستحق التقدير ، على الرغم من ضعف التسلسل المنطقي الذي يقودها . وكذلك يتناول المؤلف افكاراً واراء عامة تمت الى لبنان من بعيد او قريب . ولعل غايته من ذلك كله تأريث نار الحنين في قلوب اخواننا المهاجرين وتذكيرهم دائماً بالوطن الحبيب ، وهذا شيء محمود ، من ناحية القصد العام ، كما انه يسعى الى التعبير عن ارائه على لسان بطلة الرواية ، هذه البطلة التي حملها المؤلف من الجهد الفكري وسعة الثقافة ما لا تتحمله امرأة ، وتتحدث عنه بمثل تلك الطلاقة والاسهاب .

بقي اسلوب الكتاب ، فعناية المؤلف به في القسم الاول اشد منها في باقي الاقسام ، وان كانت الصناعة اللفظية تتبدى في غير

موضع واحد . وهو اسلوب عادي بالاجمال يفتقر الى الجزالة وشدة الاسر . ويهتم المؤلف اهتماماً خاصاً بالوصف الملون ، وهو يوفق فيه غالباً لولا نزعته الى الاستطراد والامعان الممل في الخيال .

ولا يسعنا الا ان نبدي اسفنا لتلك الاخطاء والاغلاط النحوية والصرفية والاملائية التي يكاد الكتاب يكون مشحوناً بها . ولعل المؤلف يسعى جهده لتلافي مثل هذه الاخطاء في تآليفه القادمة .

على ان ذلك كله لا يمنعنا من ان نوجه تحية ثناء وشكر الى اولئك الاخوان المهاجرين الذين ما فتئوا ينشرون الواناً اثيره حلوة من الادب تضاف الى النتاج اللبناني الاصيل بفخر واعتزاز

سهيل ادريس

قصص من الصميم

للاستاذ محمد مجذوب — ١١٠ صفحات — مكتبة الشبيبة — طرابلس

لا ريب في ان القصة العربية لا تزال في مراحلها الاولى الا انها تخطو خطوات سريعة نحو الكمال ، وهذا الكتاب الذي نعرف به يجعلنا نلمس مدى ما حققته القصة العربية من قرب نحو الغاية .

يتكون الكتاب من عدة اقاصيص تختلف طولا وقصراً حسب ما يقتضيه سياق القصة نفسها ، وقد استطاع المؤلف في كثير من التوفيق ان يصور لنا تصويراً صادقا بعض نواحي المجتمع ويتغلغل في صميمه ليخرج لنا صورا موفقة لما خفي او ظهر من عادات مجتمعنا واخلاقه ، كتصويره مثلا للامومة المضحية في سياق قصته « ام الحاج » التي احب ان الخصها للقارىء لا لانها افضل ما في الكتاب بل لانها تعطي فكرة مقتضبة عن جل قصصه .

لسعت ام الحاج قاسم بينما كانت تدخل المنزل ليلا راجعة مع ابنها وزوجه وحفيدها من سهرة ليلية ، فعلا الصراخ واسرع الجيران الى الدار واخذ كل منهم يدلي بآرائه التي سمعها او تعلمها لايقاف السم من فصد الى كي الى احضار الطبيب — الذي قرر أيهم عليه بالاجماع انه لا يفهم باللسع وان خير الطرق لشفائها الاستعانة بحصاة اللاذقية ذات المعجزات . . .

وعبثا ذهبت الجهود لانقاذ العجوز فقد فقدت الحصاة سرها . وهام ابنها الحاج قاسم على وجهه بعد ان اعيته الحيل حتى اهتدى اخيراً الى الشيخ صاحب الغرائب الذي يشفي الملسوع بواسطة غيره فما عليه الا ان يشرب من الماء الذي يحضره له حتى يتم شفاء امه .

تجشم الحاج قاسم المشاق للوصول الى ذلك الشيخ وتناول منه الاناء الفخاري وافرغه في جوفه ثم عاد وروائع المنى تطوف بروحه بهجة وسرورا . . . وما كاد يصل الى البيت حتى فوجىء بالخبر السيء . فقد ماتت امه .

ومضت الايام والحاج لم يستطع ان يحل المسألة كيف ماتت والدته فيقتنع اخيراً بان شرب الماء جاء بعد استقرار الاجل .

هذه القصة التي اعترف باني شوهتها كثيراً اذ لخصتها هي واحدة من عدة قصص ان لم تكن في مستواها فهي تفوقها عمق مادة وسمو فكر .

الا اني احب ان آخذ على المؤلف شيئين : الاول سلخه لبعض المشاهد سلخا حتى لتبدو الصور متتابعة متلاحقة ولو انه اعطاها حقها من الروية والاتضاح كما فعل في كثير من المواضع لكانت قصصه غاية في الابداع من هذه الناحية . والثاني عدم اعتنائه بالتشخيص او بعبارة اخرى التحليل النفسي اذ انه لم يعد يخفى ان غاية القصة لم تعد سرد الحوادث فحسب بل الابداع الفني في المقام الاول . وشيء آخر كان على المؤلف ان يوليه عناية كبرى مسألة الاخراج الشكلي ليخلو الكتاب من كثير من الهفوات المطبعية التي شوهت الكتاب الى حد كبير .

على ان هذه الهنات لا تخرج كتاب الاستاذ المجذوب عن كونه مجموعة جيدة من مجموعات الادب القصصي الحديث .

واذا لم يكن بد من كلمة حول الاسلوب فهو جيد متين السبك يشعرك بان صاحبه امكنته الاداة العربية وبدت على قلمه طيعة يؤيد ذلك استقرار الكلمات من اسلوبه في مواضعها .

ولا احب ان اترك القلم قبل ان اوصي القارىء خيراً بالقصص « حيلة ناجحة » و « قصتان » و « سعادته الضائعة » .

مصطفى قصاص

علم الاجتماع الديني

للاستاذ يوسف باسيل شاحت — ١ صفحة — مكتبة الامنية — حلب

ليست الكتابة عن الدين بجديدة في ادب العرب ، لكن دراسة الدين بالمقاييس الاجتماعية ، لا الروحية هي دراسة جديدة بدأت في ربوع الغرب ، حين اراد العلماء الواقعيون ان يخضعوا الدين لنظرياتهم الحديثة باعتباره ظاهرة من ظواهر تفاعلية المجتمع والحياة فكان لهم بذلك آراؤهم التي تصيب حيناً ، لان مظاهر الدين

كلها بوليدة الاجتماع ، لان هنالك مراحل لا تزال مقطوعــة او مجهولة في الدلالة على نشأة روح الدين واستقرارهـا في جذور النفوس .

وقد اراد صديقي الشاب المؤلف ان يبحث هذا الموضوع ، مدفوعاً بهوى خاص فيه الى طروق هذه المواضيع الوعرة ، استجابة لثقافة فيه عميقة قلما يؤتاها شبابنا ، ويؤتى معها الصبر والجلد على المطالعة والاصطفاء والكتابة . فكان الموضوع امامه شائكاً ، يضطره الى استعراض جميع النظريات التي قامت حول روابط الدين بالمجتمع . فكان ان استمسك –اكثر ما استمسك– بالنظريات الافرنسية التي لها شأن ممتاز في هذا الميدان . وكان ان استكثر من ذكر المراجع العربية والاجنبية . ثم بدأ متدرجاً من مرحلة الى مرحلة في بحث نشأة الدين والغاية منه . الديانات الكتابية وغيرها ، مع مشاكلها الاجتماعية ، بعرض حسن ، متناسق الفصول ، واضح الغاية . وقد كان من المنتظر ان تخون اللغة صاحبها ، لكن اللغة تميزت بسهولة ووضوح يساعد على ادراك القارىء لمضـامين المعاني بوضوح .

اما ما اخذته على المؤلف ، فهو اعتماده على النظريات السابقة اعتماداً جعل شخصية المؤلف تتوارى في كثير من الصفحات . وعادة في مثل هذه الكتب تعرض النظرية ، وتقابلها مناقشة المؤلف لها حتى لا يكون اسيراً لها ، وقانعاً بها . وبذلك اغاب الرأي الشخصي او قل لم يبد قوياً . ولكن معذرة المؤلف تعود الى ان الموضوع جديد ، واننا ندخل حديثاً في مشاكله . ولم يسبق لنا اننا درسنا تطور الدين بتطور الاجتماع .

وعلى كل ، نستطيع ان نقول ان الكتاب طريف في موضوعه ، والمكتبة العربية تفتقر الى مثل هذه المواضيع الدسمة . ولن يكون كتاب صاحبي الا طليعة لنشاطه الثقافي المقبل في حقل الاجتماع والفلسفة .

حلب — خليل هنداوي

ابن طفيل وقصة حي بن يقظان

الدكتور عمر فروخ – ٩٨ صفحة – مكتبة منيمنة – بيروت

اصدر الدكتور عمر فروخ الحلقة السابعة عشرة من سلسلة دراسته القصيرة في الادب والتاريخ والفلسفة وخص بها احد كبار الفلسفة الاسلامية واحد اكابر الفلاسفة في العصور الوسطى ابابكر محمد بن عبد الملك . . . بن طفيل .

تقع هذه الدراسة في مائة صفحة وستة فصول ، ولقد كتب الدكتور فروخ مقدمة موجزة في مصادر دراسة ابن طفيل وبين كيف ان كثيرين من الدراسين قد اخطأوا في استخدام هـذه المصادر ، واتى على ذلك بامثلة طريفة . ثم انه رأى ان يخص عصر ابن طفيل بكلمة مفصلة (ص ١٣ — ٢٧) ذلك لان عصره كان عصر انتقال في الفلسفة العالمية وعصر نضج للفلسفة الاسلامية ثم يلي ذلك موجز ترجمة ابن طفيل في ست صفحات (ص ٢٨–٣٦) .

وبعد ان يوجز الدكتور فروخ «سبيل فلسفة ابن طفيل وفنونه العامة » يعمد الى تحليل قصة حي بن يقظان تحليلا غايته عرض مواد هذه القصة الفلسفية العالمية بصورة منطقية (ص ٣٩–٥٩) .

وهنا يعود المؤلف الى « بسط فلسفة ابن طفيل » حسب قواعد التأليف الفلسفي الحديث مع شيء من النقد (ص ٦٠ — ٨٩) .

واخيراً يتكلم المؤلف على « مقام ابن طفيل واثره في الشرق والغرب » .

*

وتمتاز هذه الدراسة بان المؤلف قد استنفد اكثر المصـادر والمراجع (ما عدا بعض المؤلفات الاسبانية الحديثة التي حالت الحرب دون وصولها الى بيروت) ، ثم عرض مواد هذه المصادر والمراجع عرضاً منطقياً . وبعدئذ عمد الى قصة حي بن يقظان ودرسها درساً ايجابياً مفصلا ، ولقد كان المؤلف صريحا جداً في معالجة النـاحية الالهية من قصة حي بن يقظان ودل على خطأ شائع في فهم بعض الدارسين للصلة بين الدين والفلسفة عند ابن طفيل وعند غيره من فلاسفة الاسلام ، واشار بوضوح الى ان فلاسفة المغرب خصوصاً كانوا يفصلون بين الدين والفلسفة ويجعلون في تآليفهم وفي حياتهم الخاصة الدين والفلسفة مجريين مستقلين . اما اذا رجعت الى اساس فلسفتهم فانك تراهم لا يترددون ابداً في تفضيل الفلسفة .

ويبدو كذلك جليا ان ابن طفيل كان سابقا في آرائه الطبيعية والماورائية (علم ما وراء الطبيعة) والاجتماعية على كثيرين من مشاهير الفلاسفة وعلماء الاجتماع .

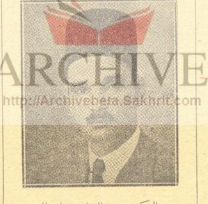
وعلى شدة تقيد الدكتور فروخ بمنطق البحث والاستشهاد تجد كتابه يعبر نفسه للقراءة . ولا يغيب عن القارىء ابداً سعي المؤلف الدائم لجلاء جانب الفلسفة الاسلامية التي يريد كثير من غير المنصفين ان يغمضوا حقها .

ص . . .

جولة الأديب في شهر

الدكتور عزام يتحدث عن اللجنة الثقافية

كانت اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية قد الفت لجاناً تحضيرية لاعداد التقارير والاسئلة التي ستعرض فيما بعد على الشعب المحلية ، والتي سيكون من نتائجها اثارة نهضة تعليمية ثقافية عربية تكون دعامة الوحدة الروحية والعقلية بين العرب . وقد اجتمعت هذه اللجان واعدت ما عهد اليها به . وكان من رأي لجنة اللغة العربية ان التعليم في المدارس لم يحقق الغاية الاساسية منه وان الطالب يخرج من المدارس الثانوية والعالية معوج اللسان مضطرب القلم ، لا تنزع نفسه الى القراءة ولا الى الاستزادة من المعارف والآداب . وربما كان من الممكن ارجاع هذه العيوب الى المناهج واساليب التعليم ، والكتب ، وطبيعة اللغة ، والمعلم .



الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وتتحدث لجنة اللغة العربية عن كل من هذه العيوب ثم تقترح الاسئلة التي ينبغي ان تطرح في المؤتمر الثقافي القادم .

واما لجنة التاريخ العربي فقدرأت ان تدريس التاريخ العربي في معظمه لا يزال قائماً على انه مرحلة مستقلة اختص بها جزء معين من الارض ، ومجموعة خاصة من الشعوب ، كما انه مقسم تقسيما يراعى فيه اسر معينة كالامويين والعباسيين على حين يمكن المؤرخ ان يقول انه لم يحدث في الدولة العربية حدث خطير فاصل بقيام الامويين او قيام العباسيين مثلا ، بل ان الحدث الفصل في التاريخ العربي الاول هو الانتقال من دور النبوة الى دور الخلافة ، ثم انتقال السلطان من العرب الى الاعاجم . ثم ان تدريس التاريخ العربي في المدارس الابتدائية يتبع الترتيب الزمني ، ويعني بالاحداث السياسية ، وتعاقب الخلفاء والملوك والدول المختلفة على حين يبدو ان العناية بابطال التاريخ العربي وعظمائه من ملوك وقادة ومصلحين اجدى على المتعلم في المرحلة الابتدائية وانفع في تعريفه بتراثه وماضيه .

واما مرحلة الدراسة الثانوية فينبغي ان تكون العناية في اثنائها متجهة الى تنمية الذوق والحاسة التاريخيين عند الطالب بحيث يستطيع ان يدرك ان التاريخ تطور وارتباط وثيق بين الحوادث ، سواء في ذلك تاريخ البلد الواحد او تاريخ مجموعة من البلاد كالتاريخ العربي او التاريخ الاوروبي . ومن الواجب كذلك في هذه المرحلة ان يعرف الطالب ما بين التاريخ العربي وتاريخ الامم المجاورة او التاريخ العربي مثلا من اتصال وتبادل في النظم والاوضاع العامة .

وصفوة القول ان الحد الادنى الذي يجب توافره للوطن العربي من التاريخ في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي هو تعريف المتعلم ماضي بلده على انه بيئة لها مقوماتها المهمة ، ثم على انه جزء من بيئة اوسع ، وهي العالم العربي الذي كان له آثار بينة في تنمية الحضارة الانسانية والمدنية العامة على انه جزء من العالم الانساني باجمعه .

وعنيت لجنة التربية الوطنية باعداد المواطن العربي ، واظهرت ضرورة المام المرء بنظم الحكم القائم في بلاده وبما فيها من مشكلات اجتماعية واقتصادية حتى يستطيع ان يبدي رأيه على اساس صحيح معقول ومتى يشترك فيها اشتراكاً فعلياً فيتعاون مع بني وطنه ومع بني جنسه على خير الوطن وخير الانسانية .

وعلى الرغم من ان الجغرافية اليوم تعمل على ابراز العلاقات الوثيقة بين اجزاء العالم المختلفة وتؤكد وحدة العالم وارتباط مصالح امه وشعوبه ، فان ذلك لم يحل بين « لجنة الجغرافية » وبين ان تبين

وتوضح ان الروابط المختلفة التي تربط البلاد العربية تحتم ان ننظر الى العالم العربي نظرة خاصة ، وان ندرسه كوحدة لها مقوماتها .

وقد اغتنمت « الاديب» زيارة الدكتور عبد الوهاب عزام بك لها وهو احد اركان اللجنة الثقافية وسألته بعض الاسئلة فتفضل بالاجابة عليها ، وهذه هي الاسئلة والاجوبة :

السؤال الاول

— ما هو منهاج اللجنة الثقافية في اجتماعها الآتي في دمشق ؟

— المقاصد الاولى للجنة الثقافة في جامعة الدول العربيه رفع مستوى الثقافة في الامة العربية وتقريب منـاهج التثقيف في البلاد العربية جهد الطاقة ، ويدخل في عمل اللجنة كذلك تقريب القوانين في البلاد العربية او توحيدها .

وقد بدأت اللجنة منذ انشئت في تحقيق هذه «المقاصد» وقد اعدت العدة ووضعت الخطة لاجتماعين قريبين سيكون لهما اثر بيّن في البلاد العربية .

١ — مؤتمر ثقافي يبحث في القدر المشترك من التثقيف الذي ينبغي ان يزوّد به التلميذ العربي في التعلم الابتدائي والثانوي . ووسائل تيسير اللغة العربية تعلما وكتابة وقراءة ويرجى ان يجتمع هذا المؤتمر قريباً ولم يحدد موعد اجتماعه .

٢ — واجتماع اللجنة في دمشق في ١٤ ايلول .

وقد الفت اللجنة لجاناً فرعية لوضع منهاج الاجتماع وشرح المسائل التي تبحث فيه فتقرر عرض مسائل اعظمها خطرا :

توجيه الصحافة العربية والاذاعة والسينما وجهات ترفع مستوى الامة العربية في الثقافة والاخلاق وتحقق مقاصد الجامعة العربية او تيسر لها السبل الى تحقيق هذه المقاصد .

ومن الامور التي يتضمنها منهاج هذا الاجتماع النظر في الآثار العربية في افكار العرب كلها وتحقيق ضرب من التعاون بين دور الآثار فيها ووضع قانون موحد للعناية بالآثار وتيسير الاطلاع عليها والانتفاع بها لكل الباحثين في البلاد العربية .

وكذلك تبحث اللجنة في هذا الاجتماع القريب قانوناً للملكية الادبية يحفظ للمؤلفين والمترجمين حقوقهم .

ومن اعظم الامور التي ستنظر فيها اللجنة كذلك تشجيع التأليف والترجمة في بلاد العرب بالوسائل المختلفة ووضع الخطط والجوائز وتأليف اللجان التي تحقق هذا المقصد على احسن الوجوه .

ولم تنس اللجنة ان تبحث في وسائل الاتصـال بين الدول العربية عامة وبين هيئات الثقافة في الامم المتحدة ليتحقق التعاون العالمي في الثقافة على قدر الامكان بعد احكام التعـاون بين الدول العربية .

السؤال الثاني

— ما هي الوسائل التي تتبعها الجامعة لضمان تنفيذ مقرراتها ؟

— تعتمد الجامعة على حسن التفاهم والتعاون بين الدول العربية في تنفيذ قراراتها ولكل دولة عربية لجنة محلية هي وسيلة الاتصال بينها وبين اللجنة الثقافية العامة ويرجى ان يكون لهذه اللجان اثر واضح في شرح مقررات اللجنة العامة والمبادرة الى تنفيذها .

السؤال الثالث

— ان حكومة لبنان لم تعدّل مناهج التعليم حتى الان فما هو موقف الجامعة من ذلك ؟

— لم تطلب الجامعة من دولة عربية ان تعدل مناهجها وانما تقصد الجامعة الى انارة السبيل امام البلاد العربية لوضع الخطط التي تلائم الحياة الثقافية في بلاد الجامعة .

ولا شك ان وحدة المقاصد والنزوع الى التعاون في الامة العربية كلها ورغبة البلاد العربية في رفع مستواها الثقافي ونشر العلم بين طبقاتها كلها كل هذا يكفل اهتمام البلاد العربية بالخطط التي تقترحها الجامعة والاستفادة منها وتغيير المناهج القديمة التي لم توضع لمقاصد واضحة ولم يتوخ فيها الاهداف التي ترمي اليها الجامعة العربية والامة العربية كلها في هذا العصر .

ولا ريب ان المناهج التي وضعتها الايدي الاجنبية للعدول بالعرب عن السبيل السوي او توجيههم وجهة تنفع الاجنبي ولا تنفعهم ، لا ريب ان هذه المناهج لن تثبت امام العزم المصمم ، عزم الامة العربية على ان تخط لنفسها خططاً كفيلة بتقدمها والهامهـا المقاصد العالية التي تلائم تاريخها والتي تجمعها على طريق لاحب الى الغايات المجيدة التي تكافيء العرب في حاضرهم وماضيهم .



٢٧ تموز – إعلن رسميا ان بيفن لن يحضر موتمر الصلح لانحراف حالته الصحية .

٢٩ – افتتح موتمر الصلح اعماله في قصر اللوكسمبورغ في باريس .

– صدق مجلس الشيوخ الاميركي على مذكرة ارسلت لموتمر الصلح لاعطاء جزر الدوديكانيز الى اليونان .

٣٠ – وافقت بريطانيا على اقتراح بيرنز بضم منطقتي الاحتلال الانكليزية الاميركية في المانيا .

– افتتح في اكسفورد موتمر اتحاد العلماء العالميين بشأن الطاقة الذرية .

٣١ – وافقت الحكومة البريطانية على اتخاذ تقسيم فلسطين الى اربع مناطق اساساً للمفاوضات بين الخبراء البريطانيين والاميركان

– نشر النص الكامل لمعاهدات الصلح مع ايطاليا ورومانيا وهنغاريا ورومانيا وفنلندا . وهذه اهم النقاط التي وردت فيها :

١ ان تتخلى ايطاليا عن جميع مستعمراتها وتتنازل عن جزر الدوديكانيز لليونان ، وتدفع لروسيا تعويضاً قدره مئة مليون من الدولارات .

٢ ان لا تستخدم رومانيا العتاد الحربي ، ولا تزيد قوتها الحربية عن ١٢٠،٠٠٠ رجل و ٥٠٠٠ للمدفعية ومثلها للاسطول ، وتدفع تعويضاً لروسيا قدره ٣ مليون دولار .

٣ ان تظل الحدود البلغارية كما كانت عليه سنة ١٩٤١ وعدد القوات البلغارية يجب ان لا تزيد على ٥٥،٠٠٠ جندي ، و٩٠ طائرة

٤ ان تدفع هنغاريا تعويضات للاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا يبلغ قدرها ٣٠٠ مليون دولار يدفع ثلثيها للاتحاد السوفياتي .

٥ ان يتنازل الاتحاد السوفياتي عن حقوقه في استئجار شبه جزيرة هانغو التي نصت عليها معاهدة الصلح الروسية الفنلندية سنة ١٩٤٠ وتدفع فنلندا تعويضات عما اصاب الاتحاد السوفياتي من خسائر مبلغ ٣٠٠ مليون دولار .

١ آب ١٩٤٦ – عاد المستر اتلي من باريس الى لندن للبحث في القضية الفلسطينية .

– تلقت الحكومة المصرية من الحكومة العراقية طلباً بدعوة الجامعة العربية الى عقد جلسة فوق العادة لبحث مسألة فلسطين .

٢ – القى المستر موريسون بالنيابة عن المستر اتلي بياناً يحدد فيه موقف الحكومة البريطانية من تقسيم فلسطين .

٣ – استقبل قداسة البابا البعثة الفلسطينية العربية وتحدث اليها مدة نصف ساعة .

٥ – احتجت ايران على بريطانيا لانزالها بعض القوات الهندية في البصرة .

٦ – اعلنت الحكومة الاميركية رسمياً ان اسطولها لن يغادر الصين .

– اقسم عصمت اينونو اليمين الدستورية امام المجلس الجديد بعد تجديد انتخابه للمرة الثانية

٧ – صرح جمال الحسيني بان عرب فلسطين يرفضون كل مشروع يرمي الى التقسيم .

– تم الاتفاق على توزيع الاسطول الالماني بالتساوي بين بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي .

٨ – رفض جمال الحسيني اشتراك عرب فلسطين بموتمر لندن .

– قدمت ايطاليا مذكرة الى موتمر الصلح تطالب فيها بتعديل الحدود الفرنسية الايطالية .

٩ – وافق موتمر باريس على دعوة دعوة ايطاليا لعرض قضيتها وبيان شكواها من مشروع معاهدة الصلح .

– تمكن الشيوعيون في الصين من احتلال مطار تاتنغ بعد هجوم استمر اربعة ايام .

١٢ – قرر موتمر الصلح دعوة مصر والبانيا والمكسيك لابداء ارائها بمشروع المعاهدة مع ايطاليا .

– افتتح في الاسكندرية موتمر وزراء خارجية الدول العربية لبحث مشكلة فلسطين .

– ابلغت روسيا كلاً من بريطانيا وتركيا رغبتها في تعديل معاهدة مونترو .

١٣ – قرر وزراء خارجية الدول العربية تلبية دعوة بريطانيا لحضور موتمر لندن .

– عثر على جثة موسوليني في صندوق من الخشب وسلمت لمدير البوليس في ميلانو .

١٤ – صرح قداسة البابا بانه سيعمل على التدخل ليأخذ العدل والسلام مجراهما في فلسطين .

١٥ – فازت الحكومة التركية بالثقة باكثرية الاصوات .

١٦ – القى الرئيس ترومان بياناً عن فلسطين امل فيه ان تسفر المفاوضات بين بريطانيا والعرب واليهود عن حل عادل للقضية الفلسطينية .

– داهم رجال البوليس مقر الحزب الشيوعي الهندي في دلهي الجديدة واعتقلوا رئيسه وثلاثة زعماء آخرين .

١٩ – رفضت الرابطة الاسلامية عروض البنديت نهرو بشأن نصيب المسلمين في الوزارة الاتحادية التي طلب اللورد وايفل تأليفها من الفريقين .

– اعلنت الحكومة البريطانية انها لن تشترك في الاشراف على الاستفتاء الذي سيجري بشأن الملكية في اليونان في اول ايلول .

٢٠ – وجهت الحكومة البريطانية الدعوة الى الوكالة الصهيونية والى ممثلي الهيئات اليهودية الاخرى للاشتراك في موتمر لندن لبحث القضية الفلسطينية .

٢١ – اوضح بطرس غالي باشا مندوب مصر في موتمر الصلح حق مصر في التعويضات من ايطاليا وفي واحة جغبوب وتلال السلوم كما طالب باستقلال ليبيا .

– رفضت الحكومة المصرية العروض البريطانية الجديدة لتعديل معاهدة ١٩٣٦ وترك باب المفاوضة مفتوحاً .

٢٢ – ارسلت الحكومة التركية ردها بالرفض على المذكرة السوفياتية بشأن اشتراك روسيا في الدفاع عن المضائق .

– قدمت العراق طلباً الى سكرتيرية موتمر الصلح لمنحها الحق في ابداء رأيها في المعاهدة الايطالية .

٢٣ – اطلقت الحكومة البلغارية سراح الطيارين الاميركيين المعتقلين وقد رفضت قبول انذار الولايات المتحدة .

٢٦ – ارسل الحزب الشيوعي الصيني برقية الى موتمر الصلح يطالب فيها بسحب القوات الاميركية من الصين .

٢٧ – وافقت اللجان الرومانية في موتمر باريس على الاعتراف بالحدود الرومانية السوفياتية

– عمت ثورة الانصار في مناطق شمالي ايطاليا .